

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجبالي بونعامه بخميس مليانة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



العنوان

استراتيجية التأويل عند حميد دباشي دراسة في كتاب ما بعد الاستشراق- المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

تحت إشراف:

أ.د. مكاي محمد

إعداد الطالبة:

صدقاوي نادية

السنة الجامعية: 2022-2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على المعلّم الأمين المبعوث رحمة للعالمين

أمّا بعد:

إنطلاقاً من قول رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - في الحديث المرفوع الذي يرويه أبو سعيد - رضي الله عنه - " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ " رواه أحمد والترمذي وحسنه، فإنّه من دواعي سروري أن أخطّ هذه الكلمات لأتقدّم بالشّكر الجزيل والعرفان الجميل لكلّ من كان عوناً لي وسنداً في إخراج هذا العمل المتواضع ، وأخصّ بالذكر الدّكتور أستاذي (محمّد مكاي) حفظه الله، لرعايته لي في دراستي وبحثي، ولمساعدته لي في التغلّب على كافّة العقبات التي واجهتني، ولتوجيهاته القيّمة التي أدّت إلى إخراج هذا العمل، فله منّي كلّ حبّ وتقدير واحترام. وجزاك الله خير جزاء.

كما أتقدّم بالشّكر والتّقدير إلى الدّكتور أستاذي (جويني نور الدين) رعاه الله، على نصائحه وتشجيعي للمضي قدماً، شكراً لك.

كما أتقدّم بخالص الشّكر لكلّ الأساتذة والأستاذات على الدّعم والمساندة أذكر (أمينة بن خاوة - صايبي أمينة - وبرقاد أحمد). أسأل الله أن يكتب صنيعهم جميعاً في موازين حسناتهم.

وأخيراً الحمد لله الذي وفقني لإخراج هذه الدّراسة، فما كان فيها من صواب فبتوفيق من الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمني.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى صاحبة الفضل الكبير .. إلى سرّ ناجحي .. إلى التي هدهدت
آلامي .. إلى النّبع الذي لا ينضب من ارتوائني .. والقلب الذي لا ينضب من احتوائني ..
إلى أغلى ما أملك .. أمي حفظها الله ورعاها.

إلى الذي لا تفيه الكلمات .. إلى روح والدي الذي تسكن صورته في فكري وقلبي .. أبي
رحمه الله.

إلى التي كانت الرفيقة والصديقة .. رفيقة الروح أختي وحببتي .. والتي كانت سنداً لي
ولأخوتي .. والتي أنارت دروبنا بحبّها وعطاءها الكبير .. أختي رحمها الله.

إلى من شجعني على مواصلة مسيرتي العلميّة أخي العزيز .. كمال ..

إلى رياحين حياتي في الشّدّة والرّخاء .. من هم أقرب إليّ من روحي .. شقيقاتي الغاليات
على قلبي .. وإلى روح القلب .. النّبيلة صغیرتي الغالية .. منال.

إلى طفلي وصغيري .. الحبيب الغالي .. زكرياء.

إلى الصّغيرة .. أميرة القلب .. منى.

إلى أختي وصديقتي .. التي كانت ولازمت الفاضلة الكريمة أستاذة اللّغة العربيّة .. أمل.

إلى ياسمين القلب .. صابرينة.

إلى جميع أساتذتي الكرام .. ممّن لم يتوانوا في مدّ يد العون ..

لهؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع أسأل الله العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

المقدمة

اتخذت العلاقة بين المركزية الأوروبية و بلدان المستعمرات السابقة، عدّة مسارات صعوداً وهبوطاً، لكنّ تظلّ التجربة الإستعماريّة والهيمنة الإمبرياليّة من المراحل الفارقة في علاقة الطرفين، ولعب الإستشراق والمستشرقون دوراً في هذه العلاقة، فالإستشراق هو نمط من التوجّه لدراسة الآخر المختلف، كما يعرفه (إدوارد سعيد) في كتابه (الإستشراق) بأنّه مبحث يختصّ بدراسة الشرق، وهو يمثل تاريخاً طويلاً من الدّراسات والأبحاث التي أُجريت من قبل المستشرقين في شتى المواضيع، رافقتها ممارسة إستعماريّة بُنيت على إنتاجيّة تلك الدّراسات وهو الأمر الذي تكرّر مع صعود الولايات المتّحدة الأمريكيّة عالمياً بعد الحرب العالميّة الثانيّة، التي توجّهت بدورها إلى الإستشراق عبر مراكز و معاهد مُختصة في الوقت الذي كُشف فيه (إدوارد سعيد) عن البنية النظريّة القائمة وراء إستراتيجيّات التعامل مع كلّ ما ليس غربيّ.

وباستقلال المستعمرات في النّصف الثّاني من القرن الماضي، وبسبب التّحوّلات والتّطوّرات السياسيّة التي جعلت الدّول الغربيّة تُغيّر في أبنية الإستشراق الذي شارف على النّهاية بفعل انتهاء الصّلاحيّة و قيام نوع من المقاومة في المرحلة الما بعد كولونياليّة بإنشاء ما يُعرف بدراسات المناطق أو الدّراسات شرق أوسطيّة، خاصّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبعد الحرب الباردة و بروز نظام الأحاديّة القطبيّة بزعامة الولايات المتّحدة الأمريكيّة (مشروع القرن الأمريكيّ الجديد)، دخل الإستشراق في مرحلة أخرى جديدة عبر التّزعم الإقتصاديّ والعسكريّ و الإعلاميّ و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر شنت الولايات المتّحدة الأمريكيّة الحرب على الإرهاب، مُعلنة عن مرحلة أخرى عُرفت بما بعد الإستشراق، هكذا جاء كتاب (حميد دباشي) في ما بعد الإستشراق وفيه يطرح مسألة التّمثيل الذاتيّ ضمن نطاق المقاومة المعرفيّة. والقوّة في زمن الإرهاب.

و(حميد دباشي) ينتمي إلى إحدى أهمّ صُور الكتابة النّقديّة، التي حملت على عاتقها مسؤوليّة طرح، ثمّ محاولة الإجابة بعدها عن سؤال التّمثيل/ التّحدّث والفعل، والإنابة عن آخر، فقام (دباشي) بدراسة الكثير من المنظومات النّقديّة ما بعد الكولونياليّة وتقييمها، وعلى الخصوص مشروعَي النّاقد الفلسطينيّ - الأمريكيّ (إدوارد سعيد)، والهنديّة - الأمريكيّة

(غاياتري سبيفاك)، وعلى الخصوص القضايا التي أثارها كتابها (هل يستطيع التابع أن يتكلم؟)، لذلك أَلَف كتابه (هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟).

(فدباشي) يُعدّ أحد أهمّ المفكرين في النظريّة ما بعد الكولونياليّة بالولايات المتّحدة الأمريكيّة اليوم، ويقدم نقده للمنظومة المعرفيّة الغربيّة ويستقرئها بطريقتها الجديدة في إنتاج المعرفة وذلك من خلال استقرائه للواقع الفكريّ المعاصر.

فما بعد الإستشراق، الذي طوّره الباحث الإيرانيّ (حميد دباشي)، هو قراءة جديدة يسعى إلى تحدّي هياكل السّلطة التي تكمن وراء إنتاج المعرفة في العالم بعد التّغيّرات التي طرأت في العالم اليوم.

ونتيجة لما سبق، ولأهميّة هذه الدّراسة فلقد وقع إختيارنا على موضوع "إستراتيجيّة التّأويل عند حميد دباشي - دراسة في كتاب ما بعد الإستشراق - ليكون عنواناً لمذكرتنا. ومن جملة الأسباب التي دفعتنا إلى ذلك مايلي:

1/- من أسباب إختيارنا - الدّائيّة - لهذا الموضوع إهتمامنا بمعالجة قضايا العصر الزّاهن، والتي لم تُحُص بعد بالدّراسة الكافية. إضافة إلى إعجابنا بالمفكر (حميد دباشي) ورؤيته الإنسانيّة.

2/- ومن أسباب إختيارنا - الموضوعيّة - أيضاً كون " ما بعد الإستشراق " يُعتبر من أهمّ المُساهمات المهمّة في نظريّة ما بعد الإستعمار، الذي أخذ على عاتقه حمل لواء تجديد القراءة والرّويّة للمفاهيم والأيدلوجيّات الإستشراقيّة، كما أنّ " ما بعد الإستشراق " موضوع بكر لم يُثر بعد ولم يتشبع بالدّراسات والأبحاث، ما عدا بعض من الإسهامات التي لا تعدو تكون إسهامات مُحتشمة وهذا راجع إلى كون الموضوع يوفّر إطاراً جديداً وحديثاً لفهم العلاقة بين الشرق والغرب عبر الأحداث المعاصرة، ولم يمض عليه وقت كاف لهضمه وإستيعابه من النّقاد والباحثين، وكذا توضيح مُلابساته ورموزه وقضاياها. وكذا قلة الدّراسات المتعلّقة بهذا الكتاب، أي جدّة الموضوع وقلة البحث فيه من هذه الزّاوية المعرفيّة خاصّة حسب علمي.

وهذا ويسعى البحث لاستقصاء جملة من الافتراضات تتجلى في السؤال الجوهرى: أين تكمن جهود " حميد دباشي " في ما بعد الإستشراق؟ وما هي إسهاماته وقراءته من خلال كتاب " ما بعد الإستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب؟ " وما هي أهم الأفكار التي عالجه، والقضايا التي أثارها؟ وهل إستفاد من آراء المنظرين الأوائل للفكر ما بعد الكولونياليين، وهل تجاوز آراءهم؟.

وللإحاطة بالموضوع الذي نريد خوض غماره قسمناه إلى مقدّمة ومدخل وفصلين ؛ فصل نظري وآخر تطبيقي، وخاتمة، ولقد اندرج تحت هذين الفصلين عدّة مباحث، ولقد عمدنا في المدخل إلى تحديد العلاقة بين الدّراسات الثقافيّة والنّقد الثقافيّ مع التّأويل.

أمّا الفصل الأوّل فقد تناولنا فيه الإستشراق ماضياً وحاضراً قبل وبعد (إدوارد سعيد) الذي إتّضحت معالمه من خلال أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأوّل تعريف الإستشراق من النّاحية اللّغويّة والإصطلاحية، أمّا المبحث الثّاني فقد قُمنّا بتحديد مفهوم الإستشراق من منظور (إدوارد سعيد) أي: تناول خطاب الإستشراق وآلياته الإستعماريّة التي حلّ لها (إدوارد سعيد) في كتابه الإستشراق، وفي المبحث الثّالث قُمنّا بشرح مفهوم ما بعد الإستشراق أي ما بعد الإستشراق كإطار ديكولونيالي، وسياسة إنتاج المعرفة والتّمثيل، ودور الثقافة في مرحلة ما بعد الإستشراق، وفي المبحث الأخير من الفصل الأوّل والذي حمل عنوان مفهوم ما بعد الإستشراق من منظور (حميد دباشي).

أمّا فيما يخصّ الفصل الثّاني وهو فصل تطبيقيّ والمعنون بـ " إستراتيجيّة التّأويل في كتاب " ما بعد الإستشراق " فقد قُمنّا من خلاله بتسليط الضّوء على جهود وإسهامات المنظر والمؤسّس لما بعد الإستشراقيّ وهو المفكّر والنّاقّد (حميد دباشي)، وذلك من خلال كتابه في هذا المجال " ما بعد الإستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب "، ولقد قسّمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأوّل أهمّ الأعمال والمنجز النّقديّ للمنظر (حميد دباشي) ومرجعياته الفكرية والمنهجية، وفي المبحث الثّاني تناولنا معلومات أساسية عن كتاب " ما بعد الإستشراق " والقضايا المطروحة في الكتاب، وذكرنا التّخصّصات المختلفة المُستخدمة في الكتاب، أمّا في المبحث الثّالث فقد تعرّضنا بالحديث عن التّأويل في فكر

(دباشي) وإسهاماته، أمّا آخر المباحث فكان عن إستراتيجيّة (دباشي) في قراءة (إدوارد سعيد) من منظور سوسيولوجيا المعرفة.

ولقد ذيلت هذه الدّراسة بخاتمة أوجزت فيها بعض النّتائج الّتي أسفر عنها البحث، فكانت بذلك حوصلة لأهمّ الجوانب النّظريّة والمنهجية الّتي وردت في المذكرة، موصولة بأهمّ النّتائج والملاحظات الّتي توصّلت إليها. أمّا الملحق يتضمّن نبذة عن أقطاب ما بعد الكولونياليّة والسّيرة الدّاتيّة للكاتب.

ولكلّ فكرة أو قضيّة طريق ومنهج مُتّبِع يتمّ السّير وفقه، ومن المؤكّد أنّ نجاح أيّ دراسة مرهون بمدى فاعلية ونجاعة المنهج المُتّبِع، إنّ بحثنا قائم على الإستراتيجية العامّة للتّأويل عند "حميد دباشي"، ومنه غلب على منظورنا المنهجيّ النّظر البنيويّ الدّاخلِيّ القائم على مجرد الوصف والتّحليل.

وعليه فإنّ المصادر والمراجع الّتي إعتمدت عليها المذكرة تنوّعت بين عربيّة ومراجع مترجمة وأخرى أجنبيّة. ومن أهمّ هذه المراجع الّتي كان الإعتماد عليها كبيراً نذكر: **دباشي حميد**: " ما بعد الإستشراق، المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب"، وكتاب **إدوارد سعيد** " الإستشراق؛ المفاهيم الغربيّة للشّرق"، إضافة إلى كتاب **سعد خالد** " إدوارد سعيد، ناقد الإستشراق، قراءة في فكره وتراثه"، وكتاب **إدوارد سعيد** " الإستشراق؛ المعرفة والسّلطة وكتاب **حميد دباشي** " إيران شعب قاطع / ولاهوت السّخط، الأساس الأيديولوجيّ للثورة الإسلاميّة في إيران".

هذا وقد واجهتني العديد من الصّعاب لعلّ أهمّها قلّة المصادر والمراجع العربيّة في هذا الموضوع وصعوبة الحصول عليها، ممّا دفعني للعودة إلى المراجع الأجنبيّة والبحث فيها وقلّة الدّراسات حول هذا الموضوع، فأودّ التّماس العذر إن كان هذا البحث قد أهمل جانباً من جوانب الدّراسة، فإنّ وفقت فذاك ما كنت أبغي، وإن كان العكس فالعصمة والكمال للكبير المتعال.

المدخل

الدراسات الثقافية والتأويل

تُعتبر الثقافة المدخل الرئيسي لتفسير مفهوم الدراسات الثقافية، وموضوعها الأبرز فهي هدف الدراسة " دراسة ملتزمة للثقافة؛ أي البحث عن السبل التي تصبح فيها الثقافة جزئياً ميدان علاقات بقوة يتضمّن مراكز وهوامش، وإرتباطات بمعايير تفرض كوابح وتهميشات وكذا التزاماً بالأشكال الثقافية أو نقدها (وغالباً ما يتعلّق بالحقل الاجتماعي الذي يُنتجها) وكذا إقامة صلات جديدة بين مختلف الأشكال الثقافية والناس"¹. والثقافة من المُستجَدّات المعرفية التي تزخر بالمعاني الكثيفة والمضامين المعقّدة، ما جعلها موضوعاً بارزاً وأساسياً في الدراسات الثقافية، التي كان هدفها الرئيسيّ البحث في الثقافة بجميع أشكالها، وتعدّد عناصرها، واختلاف محتواها.

1/- الدراسات الثقافية

تُعتبر الدراسات الثقافية حقلاً من حقول الدراسات الأكاديمية التي كانت وليدة النظرية النقدية، وهذا المصطلح ليس جديداً في هذا النوع من الحقول المعرفية وهذا ما يؤكّد عليه (آرثر آيزنبرجر) " إنّ مصطلح الدراسات الثقافية ليس مصطلحاً جديداً، حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام عام 1971م في نشر صحيفة أوراق عمل الدراسات الثقافية"². وركّزت الدراسات الثقافية على تسليط الضوء على الهيمنة بأساليبها المختلفة وكيفية تفسير النصوص الثقافية باعتبارها هذه الأخيرة مُوجّهة للإستهلاك هي هيمنة بذاتها حيث يقول (الغذامي) " فإنّها تقرير مصير أسئلة الدلالة والإمتاع والتأثيرات الأيديولوجية، وهذا يستحضر نظرية الهيمنة التي طرحها (غرامشي) من قبل (...) غير أنّ الدراسات الثقافية توسّع من استخدام نظرية الهيمنة، وبما أنّ (غرامشي) بنى نظريته الهيمنة على كشف علامات التسلط من حيث علاقتها بالطبقة"³.

¹ - ينظر سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية مقدّمة نقدية. ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005، ص.13.

² - آرثر آيزنبرجر، النقد الثقافي؛ تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية. ترجمة وفاء إبراهيم، ورمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2003، ص.31.

³ - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2005، ص.18.

وقد ظهرت الدراسات الثقافية لتصف الثقافة التي تنتهجها المجموعات البشرية وبخاصة تلك التي تم تهميشها والسيطرة عليها. وتعدّ الدراسات الثقافية نشاطاً أساسياً، وفرعاً معرفياً هاماً في العلوم الإنسانية خلال الآونة الأخيرة. ويُشير مفهوم الدراسات الثقافية إلى مشروع تحليلي حديث الظهور وسريع النمو، يهدف إلى تحليل الشروط المؤثرة في إنتاج مختلف أنماط المؤسسات والممارسات داخل ثقافة مُعيّنة. فقد أحدثت الدراسات الثقافية تغييراً ملحوظاً في الساحة الفكرية والنقدية، حيث تغيّرت الطرق والرؤى التي كانت سائدة في مجال البحث والدراسة، وسطع نجم الدراسات الفرعية والمُهملّة والمُهمّشة، التي شكلت محور اهتمام الدراسات الثقافية، والتي سعت بدورها إلى دراسة مختلف الشروط المؤثرة في استقبال هذه الأنماط، ودلالاتها الثقافية وذلك من خلال اعتمادها وتبنيها.

وتتمثّل الإضافة النوعية التي قدّمتها اتجاه الدراسات الثقافية في مسار النظرية الأدبية المعاصرة للقراءة النقدية في تشديده على أنّ كينونة النصّ الأدبي لا تتحدّد فيما ينضح به من قيم فنية آسرة منبجسة من طاقاته اللغوية والتعبيرية والاستعارية فحسب، وإنّما تتحدّد هذه الكينونة من طبيعة الأنساق المُضمرة داخل النصّ الذي يشيد من خلالها منظوراته للهوية والآخر والسلطة؛ لأنّه كثيراً ما اندست أنساق وتمثيلات شائعة، باسم هذه الجمالية للأدب تكرّس قيم التناحر والصراع والتعصب العرقي والحضاري، وهو ما أوضحه " إدوارد سعيد" حينما كشف في تأويلاته الثقافية اللّماحة للرواية الغربية عن تواطؤ سردياتها مع الإمبريالية بسبب تبطنها العديد من التقسيمات التي قوامها الإغلاء من شأن ما هو غربي؛ لتبرير التوسّع الإمبراطوري الأوروبي في أقاصي العالم وترسيخ نموذجيّته الحضارية، وفي المقابل تبخيس كلّ ما هو لا غربي، لتصويره في دائرة الدوني والمنحط لشرعنة تبعيته واسترقاقه¹. ويعدّ مفهوم التمثيل من هذا المنظور العصب الجوهريّ للدراسات الثقافية؛ كونه هو المدخل الأساس لإعادة مساءلة هوية النصّ الأدبي وتأويل ما يتوارى خلف مستوياته التخيلية من أنساق ورؤى تتشابك وراءها علائق وشيجة بين المعرفة والسلطة.

فلا تقف الممارسات النقدية التي أخصب بها اتجاه الدراسات الثقافية عند حدود تأكيد تعالق النصوص مع عوالمها المادية والدنيوية، بل يمكن إضافة متغيّرات منهجية

¹ - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية. ص. 138.

وإستراتيجيات تأويلية أخرى أفردت حضور هذا المنهج ومنطقاته في فهم النص الأدبي وتأويله، وتتجلى في استدعاء حقول معرفية عدة؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا والفلسفة وسوسيولوجيا الأدب، لتقديم قراءة نقدية للنص الأدبي تراعي تعدد الأنظمة البانية لكيونته التي يتداخل من خلالها الجمالي بالتاريخي والسياسي والثقافي، كما يُضاف إلى هذه الكشوفات المغنية التي صاحبت صعود الدراسات الثقافية في الحقل النقديّ رفض أصحابها مبدأ التراتبية الذي كرس طويلاً في النقد الأدبي بين نصوص "تعدّ راقية وأخرى توصف بأنها دونية"¹. ومردّد ذلك إلى أنّ الدراسات الثقافية تعدّ النصوص كلّها سواء أكانت من إبداع ثقافة النخبة أم ثقافة العامة، حاملة لأنساق ثقافية تُنتج معرفة بالهوية والآخر والتاريخ.

وقد ذهب (سمير خليل) إلى دور الدراسات الثقافية ويقول "وكان للدراسات الثقافية دور كبير في تحريك عجلة النقل الثقافي لكون تلك الدراسات تتناول موضوعات تتعلق بالممارسة الثقافية وعلاقتها بالسلطة وتروم من وراء ذلك إلى اختيار مدى تأثير العلاقات على شكل الممارسات الثقافية (...) فالهدف الرئيسي لها فصم الثقافة بجميع أشكالها المركبة والمعقدة وتحليل السياق الاجتماعي والسياسي في إطار ما هو جليّ في حدّ ذاته"². كما "تقدّم لنا الدراسات الثقافية النقد الثقافي كأفضل وسيلة يمكن استثمارها وتطويرها لنقد الأدب"³.

2/- النقد الثقافي: فهم وتحليل المنتجات الثقافية

النقد الثقافي هو "نهج فكريّ يتضمّن تحليل وتأويل وتفسير المنتجات الثقافية مثل الأدب والفنّ والموسيقى والأفلام والثقافة الشعبية. يسعى النقد الثقافي إلى فهم السياقات الاجتماعية والتاريخية التي يتمّ فيها إنتاج هذه المنتجات وتداولها وإستهلاكها. يفحص هذا النهج المنتجات الثقافية من وجهات نظر مختلفة، بما في ذلك السياسية والاقتصادية

¹ - إدريس الخضراوي، الأدب موضوعاً للدراسات الثقافية. جذور النشر، الرباط، 2007، ص.38.

² - سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب. دار الجوهري، بغداد، العراق، 2012، ص.13.

³ - أمجد حميد التميمي، مقدّمة في النقد الثقافي التفاعلي. كتاب ناشرون، ط1، لبنان، بيروت، 2010، ص.30.

والأيديولوجية.¹ ويتمثل أحد الأهداف المركزية للنقد الثقافي في تقديم نظرة ثاقبة للمعاني والقيم المتضمنة في المنتجات الثقافية. من خلال تحليل الرموز والموضوعات والصّور المعروضة في المنتجات الثقافية، ويسعى النقاد الثقافيون إلى تحديد القوى الاجتماعية والسياسية والتاريخية الأساسية التي تُشكّلهم. على سبيل المثال، قد يفحص النقاد الثقافيون تمثيل الجنس والعرق والطبقة في الأدب أو الفيلم لفهم كيف تعكس هذه التمثيلات ديناميكيات السلطة في المجتمع وتُديمها.

وغالباً ما يكون النقد الثقافي متعدّد التخصصات، ويستند إلى نظريات وأساليب من مختلف المجالات مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس والدراسات الأدبية. يسمح هذا النهج متعدّد التخصصات للنقاد الثقافيين باستكشاف تعقيد وتنوع المنتجات الثقافية وتحديد الطرق التي تتقاطع بها مع جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية. وأحد التحدّيات الرئيسية للنقد الثقافي هو "تحقيق التوازن بين التفسير والتقييم"². بينما يهدف النقاد الثقافيون إلى فهم المعاني والقيم المضمنة في المنتجات الثقافية، فإنهم يحتاجون أيضاً إلى مراعاة وجهات نظرهم وتحيزاتهم. على هذا النحو، يمكن للنقد الثقافي أن ينطوي على عملية جدلية يتعامل فيها الناقد مع المنتج الثقافي ويتفاعل المنتج الثقافي مع ذاتية الناقد.

كان للنقد الثقافي تأثير في تشكيل الطريقة التي نفهم بها المنتجات الثقافية ونفسرها على سبيل المثال، لعب النقد الثقافي النسوي دوراً مهماً في تحدي الصّور النمطية الجنسانية في الأدب والسينما، وقد لفت النقد الثقافي بعد الاستعمار الانتباه إلى تمثيل الاستعمار والإمبريالية في المنتجات الثقافية.

بالإضافة إلى تقديم رؤى حول معاني المنتجات الثقافية وقيّمها، ويمكن أن يكون للنقد الثقافي أيضاً آثار عملية. على سبيل المثال، يمكن للنقد الثقافي أن يُوجّه السياسة وصنع القرار في مجالات مثل تنظيم وسائل الإعلام والتعليم والبرمجة الثقافية. من خلال تحليل

¹ - مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة. ترجمة علي سيّد الصّاوي، الفاروق زكي يونس، عالم المعرفة، الكويت، العدد

223، 1978، ص.9

² - المرجع السابق نفسه، ص.7.

وتقييم الرسائل والقيم المنقولة في المنتجات الثقافية، ويمكن للنقد الثقافي أن يساهم في تطوير مناهج أكثر استنارة ومسؤولية للسياسة الثقافية.

فالنقد الثقافي هو " نهج فكري يسعى إلى فهم وتحليل المنتجات الثقافية من وجهات نظر مختلفة. من خلال دراسة السياقات الاجتماعية والتاريخية التي يتم فيها إنتاج المنتجات الثقافية وتداولها واستهلاكها"¹، ويوفر النقد الثقافي نظرة ثاقبة للمعاني والقيم المضمنة في هذه المنتجات. في حين أن النقد الثقافي يمكن أن يمثل تحدياً، إلا أنه من المحتمل أن يساهم في فهم أكثر دقة واستنارة للمنتجات الثقافية ودورها في تشكيل المجتمع. وعرفه (آرثر أيزنجر) بقوله " أن النقد الثقافي نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته (...)، فالنقد الثقافي هو مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة (...) وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضاً التفكير الفلسفي"². هنا يقوم النقد الثقافي بتوظيف المفاهيم وتطبيقاتها على الثقافة.

إن المتأمل في النقد الثقافي يجده محاولة للخروج بالنص من بنيته المغلقة إلى بنيته الخارجية، فهو عبارة عن " مقارنة متعددة الاختصاصات، تتبني على التاريخ، وتكشف الأنساق والأنظمة الثقافية وتجعل النص أو الخطاب وسيلة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي"³.

3/- التأويل: فن فهم النصوص وتفسيرها

التأويل (التفسير) هو فن فهم النصوص وتفسيرها. إنها عملية نقدية وتحليلية تتضمن فحص جزء من النص، مثل عمل أدبي أو عمل فني، ومحاولة الكشف عن معانيه الأساسية ورسائله. يمكن أن يكون التفسير شخصياً وموضوعياً على حد سواء، لأنه يتضمن منظور القارئ الشخصي والصفات الموضوعية للنص⁴.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.6.

² - آرثر أيزنجر، النقد الثقافي، ص.30-31.

³ - جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة. مكتبة المثقف، دط، المغرب، 2001، ص.93.

⁴ - بوب ، ب آرمسترونغ، القراءات المتصارعة، التنوع والمصادقية. ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، 2009، ص.82.

والترجمة الفورية جزء مهم من العديد من التخصصات، بما في ذلك الدراسات الأدبية ودراسات الأفلام وتاريخ الفن والفلسفة والدراسات الدينية وغيرها. في كل مجال من هذه المجالات، يتم استخدام التأويل والتفسير لكشف معاني وأهمية النصوص أو الصور أو الأفكار. يُستخدم التفسير أيضاً في الحياة اليومية، حيث نُفسّر جميعاً العالم من حولنا بناءً على تجاربنا ومعتقداتنا وخلفياتنا الثقافية.

تتضمن عملية التأويل عدّة خطوات. تتمثل الخطوة الأولى في قراءة النص أو عرضه بعناية، مع إيلاء اهتمام وثيق لتفاصيله وبنيته وموضوعاته. يتضمن ذلك البحث عن الأنماط والوصلات بين العناصر المختلفة للنص، مثل الرموز أو السمات المتكررة. الخطوة الثانية هي تحليل النص باستخدام الأدوات والمفاهيم الهامة لكشف معانيه ورسائله. قد يشمل ذلك تطبيق الأطر النظرية، مثل النظرية النسوية أو ما بعد الاستعمار، على النص من أجل الكشف عن آثاره الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية الكامنة والمضمرة. والخطوة الثالثة هي تفسير النص الذي يتضمن فهم المعاني والرسائل التي تم الكشف عنها. وقد يتضمن ذلك استخلاص استنتاجات حول القصد من تأليف النص، أو سياقه التاريخي أو الثقافي أو علاقته بالقضايا المعاصرة. وقد يتضمن أيضاً إجراء اتصالات بين النص والنصوص الأخرى، أو بين النص وتجارب القارئ ومعتقداته.

وأحد التحديات الرئيسية للتأويل هو أنه "ذاتي بطبيعته. يجلب كل قارئ وجهات نظره وتحيزاته وخلفياته الثقافية إلى النص، والتي يمكن أن تشكل تفسيره له. ومع ذلك، يمكن أيضاً أن يسترشد التفسير بمعايير موضوعية، مثل السياق التاريخي للنص أو علاقته بالنصوص الأخرى. علاوة على ذلك، يمكن أن يكون التأويل عملية تعاونية، حيث يمكن للقرّاء الدخول في حوار مع بعضهم البعض لمشاركة رؤاهم وجهات نظرهم حول نص معين"¹. وتتمثل إحدى فوائد التأويل في أنه يمكن أن يساعدنا في تطوير فهم أعمق للعالم من حولنا. من خلال الكشف عن معاني النصوص ورسائلها، يمكننا اكتساب رؤى حول القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية، وتطوير مهارات التفكير النقدي والتحليل لدينا كما

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 86.

يمكن أن تُساعدنا الترجمة الفورية أيضاً على تقدير جمال النصوص وتعقيدها، والتفاعل معها على مستوى أعمق.

وإذا ما دلفنا إلى تقديم الهرمنيوطيقا باعتبارها مفهوماً فلسفياً ونقدياً، وجدناها لم تطرح من قبل إلا ضمن إشكالية خاصة بالنصوص المقدسة فهي لم تكن صورة نقدية مكتملة لها أطرها وقواعدها الخاصة بها فلقد ظهرت أول صياغة منهجية في سبيل مقارنة النص الفني مقارنة تأويلية مع أعمال الفيلسوف (شلاير ماخر)، حيث يعزى له الفضل بإخراج الهرمنيوطيقا من المجال اللاهوتي إلى المجال الأعمال الإنسانية ككل، لتصبح بذلك هي فنّ الفهم. "فالتأويل والفهم بالنسبة له متجانسان لحمة بسداة تتاسج جانبي الكلمة الخارجي والداخلي، وفي الحقيقة كانت كل مشكلة عن التأويل هي مشكلة عن الفهم"¹.

ولقد إقتفى (دلتي) أثر (شلايرماخر)، حيث جعل من الهرمنيوطيقا هي الحلّ الوحيد الممكن لتفسير الظاهرة الإنسانية ككل، كما يشغل (غادامير) مكاناً فريداً بين الفلاسفة الهرمنيوطقيين، فقد سار على النهج الذي سار عليه (هايدجر)، حيث يرى (غادامير) أن "الإنسان لا يفسّر الحياة في الفراغ المعنوي أو في الحياد الموضوعي، بل يُفسّرها استناداً إلى شخصيته وانتماءاته وإحساساته وإقتناعاته ومبایعاته. ومن ثمّ، فالفهم يسبق التفسير عند (هايدجر)، خلافاً للحقيقة القائلة بأنه ينبغي للإنسان أن يفسّر لكي يفهم"².

تأسيساً على ما سبق، يُمكننا القول بأنّ التأويل بشكل عامّ هو الرّهان الحقيقي الذي بإمكانه مُساءلة النصّ وإطالة أمده، عن طريق تجديد المعاني وتعدّد القراءات، فهو الجسر الذي ينقل فكر المؤلف إلى ذهن القارئ.

4/- الدراسات الثقافية والتأويل

الدراسات الثقافية هي مجال متعدّد التخصصات ظهر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، وخاصّة في المملكة المتحدة. إنّه نهج نقدي يركّز على الجوانب الثقافية

¹ - هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية. ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أوبا للطباعة والنشر، ط1، ليبيا، 2007، ص.271.

² - المرجع السابق نفسه، ص.273.

والاجتماعية لحياة الإنسان ، ويدرس كيفية تقاطع أشكال مختلفة من الثقافة، مثل الأدب والسينما والموسيقى والفن ووسائل الإعلام الشعبية، مع علاقات القوة والهويات الاجتماعية والسياقات التاريخية. وأحد الموضوعات المركزية في الدراسات الثقافية هو دور التأويل في فهم الثقافة، وكيف يمكن استخدام التفسير كأداة للنقد والمقاومة؟.

التأويل ، في سياق الدراسات الثقافية، هو عملية تحليل النصوص الثقافية لكشف معانيها وقيمتها وأيديولوجياتها. إنه ينطوي على قراءة النصوص عن كثب، وفحص السياق الاجتماعي والتاريخي الذي تم إنتاجها فيه، بالإضافة إلى السياق الذي يتم تلقيها فيه لا يقتصر التفسير على تحديد المعنى المقصود من المؤلف فحسب، بل يتعلق باستكشاف المعاني المختلفة الممكنة التي يمكن أن يحتويها النص، والطرق التي يتم بها بناء هذه المعاني والتفاوض بشأنها.

تنظر الدراسات الثقافية إلى التأويل على أنه عمل سياسي، لأنه ينطوي على التشكيك في الأيديولوجيات المهيمنة وهياكل السلطة التي تشكل الإنتاج والاستهلاك الثقافي. والتأويل بهذا المعنى، ليس محايداً أو موضوعياً، ولكنه يقع دائماً في سياقات اجتماعية وسياسية محددة ويتأثر بقيم ومعتقدات المؤول. وبالتالي، يمكن الطعن في تأويل النص وفتحه لقراءات متعددة، اعتماداً على المنظورات الثقافية والأيديولوجية للمؤول.

وأحد المفاهيم الأساسية في الدراسات الثقافية هو فكرة الهيمنة، والتي تشير إلى الأعراف الاجتماعية والثقافية السائدة التي تشكل وتحافظ على علاقات القوة في المجتمع والهيمنة ليست مجرد مسألة إكراه أو قوة، ولكنها تعمل من خلال إنتاج ونشر الرموز والصّور والخطابات الثقافية التي تُضفي الطابع الطبيعي على الأيديولوجية المهيمنة وتُضفي عليها الشرعية. لذلك، يمكن النظر إلى التأويل على أنه وسيلة لتحدي وتخريب قواعد الهيمنة، من خلال فضح افتراضاتها وقيمتها الأساسية، وتقديم قراءات بديلة تُنافس وتُقاوم المعاني السائدة

وتؤكد الدراسات الثقافية أيضاً على أهمية الجمهور في تأويل النصوص الثقافية. الجمهور ليس مستلماً سلبياً للرسائل الثقافية، بل هو مشارك نشط في بناء المعنى وتشكل الطريقة التي يُفسّر بها الجمهور نصاً ما من خلال تجاربهم الاجتماعية والثقافية الخاصة، فضلاً عن

الخطابات والأيدولوجيات الأوسع التي يتعرضون لها. لذلك، لا يتعلق التأويل بفهم النص نفسه فحسب، بل يتعلق أيضاً بفهم السياق الاجتماعي والثقافي الذي يتم فيه تلقي النص.

قدّم (أومبرتو إيكو)، عالم سيميائي وروائي إيطالي (ولد 1932)، مساهمات كبيرة في فهم التأويل في الدراسات الثقافية. جادل (إيكو) بأن " التأويل هو عملية فك الشفرات الأساسية والهياكل التي تُشكّل نصاً ثقافياً. كان يعتقد أنّ النصوص الثقافية هي أنظمة معقدة من العلامات والرموز التي يمكن تحليلها من خلال الأساليب السيميائية، والتي تتضمن تحديد طبقات المعنى المختلفة التي يتكوّن منها النص¹. وأكد (إيكو) أيضاً على أهمية التناص والطريقة التي يتأثر بها النص وتشكّله بالنصوص الأخرى التي تسبقه. وجادل بأن فهم التناص أمر بالغ الأهمية لتفسير النصوص الثقافية، لأنّه يسمح بفهم أعمق للسياقات التاريخية والثقافية التي توجّه معنى النص.

فتقوم تأويلته على أسس علمية وأصول معرفية عدّة منها السيميائية التي ساهمت في تحريك الآلية التأويلية من خلال علاقة " التأويل النصّي بالثقافة والتواصل، فكانت بذلك منهجية توليفية تطلّ فيها الأسس التواصلية والثقافية في بناء نسق شامل ومتعدّد لكلّ الأنظمة السيميائية مرتبطة ومعادلة في الوقت نفسه للتعضيد التأويلي المرتبطة بنظرية التلقي عند (آيزر) مكوّنة جدلية بين التواصل والثقافة، وبين الإنغلاق والانفتاح النصّي².

لذلك، تقدّم الدراسات الثقافية نهجاً فريداً وحاسماً لفهم العلاقة بين الثقافة والسلطة والتغيير الاجتماعي. ويؤكد على أهمية الاعتراف والتشكيك في المعايير الثقافية السائدة التي تُشكّل واقعنا الاجتماعي والسياسي، ويوفّر إطاراً لتأويل النصوص الثقافية بطريقة تتوافق مع التعقيدات والفروق الدقيقة في التجربة الإنسانية. وتهدف الدراسات الثقافية إلى تأويل الأعمال الأدبية وتفكيك ما تسكت عنه مختلف الخطابات والنصوص وكشف خلفياتها التاريخية فتنمرد على الفهم الرسمي الشائع للنصوص الجمالية، ذلك أنّ الدراسات الثقافية تعتبر " أنّ النصوص الأدبية بما تتضمنه من شفرات جمالية ليست بريئة، إذ أنّ التشكيلات الجمالية والصور الفنية

¹ - وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو. منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص.127.

² - المرجع السابق نفسه، ص. 128.

التي تمثل نسيجاً كلياً لتلك النصوص ليست سوى مظهر وهمي خادع يُضمر خلفه أنساقاً مخالفة تتعلق بالمجتمع والثقافة والأيدولوجيا...¹.

5/- العلاقة بين الدراسات الثقافية والتأويل

تزايد شعبية مجال الدراسات الثقافية في السنوات الأخيرة باعتباره تخصصاً أكاديمياً يسعى إلى فهم وتحليل تعقيدات الثقافة والمجتمع. وتشمل الدراسات الثقافية مجموعة واسعة من المجالات، بما في ذلك الدراسات الإعلامية والنظرية الأدبية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغير ذلك. يتمثل أحد الجوانب الرئيسية للدراسات الثقافية في دور التأويل، والذي يتضمن تحليل القطع الأثرية والنصوص الثقافية من أجل الكشف عن معانيها وأهميتها الاجتماعية والتفسير هو جانب أساسي من الدراسات الثقافية لأنه يسمح لنا بالكشف عن الخلفيات والأيدولوجيات الأساسية المضمنة في المنتجات الثقافية مثل الأدب والأفلام والموسيقى وأشكال الإعلام الأخرى. ويتضمن التأويل أيضاً تحليل السياق الثقافي الذي تم فيه إنشاء هذه المنتجات، وفهم كيفية تشكيلها، وتشكيلها بدورها القيم والمعايير الثقافية.

ترتبط الدراسات الثقافية والتأويل ارتباطاً وثيقاً لأن الدراسات الثقافية تهتم إلى حد كبير بتفسير القطع الأثرية والنصوص الثقافية. يحلل علماء الدراسات الثقافية مجموعة واسعة من المنتجات الثقافية، بما في ذلك الأدب والأفلام والتلفزيون والإعلان والموسيقى الشعبية، من بين أمور أخرى. يتم فحص هذه المنتجات في سياق إنتاجها وتلقيها واستهلاكها، فضلاً عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي توجد فيه. من خلال تفسير هذه المنتجات، يستطيع علماء الدراسات الثقافية فهم الطرق التي تعكس بها وتعزز القيم والمعتقدات الثقافية.

فيما تستوقفنا عبارة (نيتشه) في إحدى مواطن كتاباته "ليس هناك حقائق هناك تأويلات فقط"². يطول وقوفنا عند هذا القول "النقد الثقافي هو الذي يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة، وبتعبير آخر هو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية

¹ - يوسف عليمات، النسق الثقافي؛ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم. عالم الكتب الحديث للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2009، ص.166.

² - جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ص. 94

ومجازات شكلية موحية بل أنها أنساق مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية ومن هنا يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصاً، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضر أكثر مما تعلن¹. إن ما يسترعي انتباهنا في هذين القولين، هو ذلك الارتباط الخفي بين كل من التأويل والنقد الثقافي.

وأحد الجوانب الرئيسية للتأويل في الدراسات الثقافية هو الاعتراف بأن القطع الأثرية والنصوص الثقافية ليست محايدة أو موضوعية، ولكنها بدلاً من ذلك تتشكل من خلال السياق الثقافي الذي تم إنشاؤها فيه. على سبيل المثال، لا تعد النصوص الأدبية مجرد انعكاس لرؤية المؤلف الفردية أو خياله، ولكنها تتأثر بالخلفية الاجتماعية والثقافية للمؤلف فضلاً عن السياق التاريخي الذي كُتبت فيه. من خلال تحليل هذه العوامل السياقية، يمكن لعلماء النقد الثقافي تأويل النص بطريقة تكشف عن معانيه والأيديولوجيات الأساسية.

وجانب آخر مهم للتأويل في الدراسات الثقافية هو دور القوة والأيديولوجيا. لا يتم إنشاء المنتجات الثقافية في فراغ، ولكنها بدلاً من ذلك تتأثر بعوامل اجتماعية وسياسية مختلفة مثل العرق والجنس والطبقة. حيث تشكل هذه العوامل المعاني والقيم المضمنة في المنتجات الثقافية، ويمكن أن تؤثر على طرق تفسيرها واستهلاكها. من خلال تحليل الطرق التي يتم بها دمج القوة والأيديولوجيا في المنتجات الثقافية، ويستطيع علماء الدراسات الثقافية فهم كيفية انعكاس المنتجات الثقافية وتعزيزها للتسلسل الهرمي الاجتماعي وهياكل السلطة.

ترتبط العلاقة بين الدراسات الثقافية والتأويل أيضاً ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التمثيل. يشير التمثيل إلى الطرق التي تمثل بها المنتجات الثقافية أو تصور جوانب مختلفة من المجتمع مثل الجنس أو العرق أو الطبقة الاجتماعية. يمثل التمثيل جانباً مهماً من الدراسات الثقافية لأنه يكشف عن الطرق التي تعكس بها المنتجات الثقافية المعايير والقيم الاجتماعية وتعزيزها. من خلال تفسير الطرق التي يعمل بها التمثيل ضمن المنتجات الثقافية، يستطيع

¹ - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

علماء الدراسات الثقافية فهم كيفية تشكيل هذه المنتجات لتصوّراتنا عن أنفسنا وعالمنا الاجتماعي.

فالتأويل بشكل عام بمثابة التبرير الأساسي لطرح رؤى تطمح إلى إثبات حقيقتها عن طريق فهم المضمّر والخفي، والنقد الثقافي من ناحية أخرى يمثل هو الآخر توجّهاً نقدياً يبحث في الأنساق النقدية المضمرة الموجودة داخل النص الأدبي، "فيتضح بأنّ هناك نسقاً ظاهراً يقول شيئاً، ونسقاً مضمراً غير واعٍ وغير مُعلن يقول شيئاً آخر. وهذا المضمّر هو الذي يُسمّى النسق الثقافي"¹.

ويعتبر تقاطع النقد الثقافي مع التأويل مجالاً معقّداً ومتعدّد الأوجه للدراسة يستكشف كيفية تأويل الأشكال الثقافية وتقييمها في سياقاتها الاجتماعية والسياسية والتاريخية. أدّى هذا التقاطع إلى تطوير نظريات ومنهجيات جديدة لفهم الظواهر الثقافية، وكان له تأثير عميق على مجالات الأدب والسينما والدراسات الثقافية. بينما لا يزال هناك الكثير من الجدل والنقاش في هذا المجال، يظلّ تقاطع النقد الثقافي مع التأويل مجالاً حيويّاً للبحث للباحثين المهتمين بفهم العلاقة بين الثقافة والسلطة والأيدولوجيا.² وما ينبغي التأكيد عليه هو أنّ نقطة التقاطع بين التأويل والنقد الثقافي، هو قدرتهما على أن يجعلوا الوهم حقيقة والحقيقة وهمّاً. وإذا كان النقد الثقافي يبحث في كلّ ما يتعلّق بالثقافة والتي هي الأخرى تتميز بالتعدّد والإثبات، فإنّ هذا يعني أنّنا ننطلق في العلاقة بينهما من تعدّد المضمّر إلى تعدّد الفهم (التأويل).

6/- مساهمات الباحثين في تقاطع النقد الثقافي والتأويل: Eco و Barthes و Lyotard

أ/- مساهمة "أومبرتو إيكو" في تقاطع النقد الثقافي والتأويل

كان (أومبرتو إيكو) فيلسوفاً وسيميائياً وروائياً إيطالياً قدّم مساهمات كبيرة في مجال النقد الثقافي والتأويل طوال حياته المهنية الغزيرة، استكشف العلاقة المعقدة بين الثقافة والتأويل

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 96.

² - عبد المسيح، ماري تريبز، قراءة الآداب عبر الثقافات، أزمنة للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2005، ص. 51.

واستمر عمله في التأثير على العلماء عبر مجموعة من التخصصات. كان أحد أبرز مساهمات (إيكو) في تقاطع النقد الثقافي والتأويل هو تطويره للنظرية السيميائية. والسيميائية هي " دراسة العلامات والرموز"¹ ، ويعتقد (إيكو) أنها كانت أداة حاسمة لفهم كيفية عمل الثقافة. لقد جادل بأن كل شيء في مجتمعنا، من اللغة إلى الفن إلى الموضة هو علامة توصل المعنى، من خلال دراسة هذه العلامات، اعتقد (إيكو) أنه يمكننا الكشف عن الرموز الثقافية الأساسية التي تشكل عالمنا².

قاده نهج (إيكو) السيميائي للنقد الثقافي إلى استكشاف مجموعة واسعة من الموضوعات، من بنية السرد إلى دور القارئ في التفسير. ومن أشهر أعماله "اسم الوردة" رواية تجمع بين عناصر من الخيال التاريخي والخيال البوليسي والنظرية السيميائية، من خلال قصة راهب من العصور الوسطى يحقق في سلسلة من جرائم القتل في أحد الأديرة يستكشف (إيكو) موضوعات اللغة والتأويل وقوة الرموز. الرواية هي مثال غني على كيفية تطبيق نهج (إيكو) السيميائي للنقد الثقافي على الأعمال الإبداعية.

مساهمة رئيسية أخرى (لإيكو) في تقاطع النقد الثقافي والتفسير كانت استكشافه لمفهوم "العمل المفتوح". في كتابه "العمل المفتوح"، قال (إيكو) إن " بعض الأعمال الفنية تترك عن قصد مفتوحة للتأويل من قبل المشاهد أو القارئ. بدلاً من تقديم رسالة أو معنى واضحين تدعو هذه الأعمال الجمهور للمشاركة في إنشائها من خلال تفسير الرموز والعلامات التي تحتوي عليها"³. وفقاً لـ Eco ، يعد هذا الانفتاح سمة أساسية للفن والثقافة الحديثين، ويعكس الرغبة في التحرر من الهياكل التقليدية وخلق شيء جديد.

وقد كان لأفكار (إيكو) حول العمل المفتوح تأثير كبير على دراسة النقد الثقافي والتأويل. لقد ألهم العلماء لاستكشاف دور الجمهور في تفسير المنتجات الثقافية، وقد أدى إلى فهم

¹ - مبارك حنون، دروس في السيميائيات؛ سلسلة توصيل المعرفة. دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص.77.

² - ينظر، وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو. ص ص23، 29.

³ - عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008 ص.370-371.

أعمق للطرق التي يتم بها بناء المعنى في الثقافة المعاصرة. وتتعرض مساهمات (إيكو) في تقاطع النقد الثقافي والتأويل أيضاً في عمله على الثقافة الشعبية. في كتابه "رحلات في الواقع الفائق"، استكشف (إيكو) ظاهرة المتنزهات الترفيهية ومتاحف الشمع وأشكال أخرى من محاكاة الواقع. لقد جادل بأن "هذه المساحات الواقعية الفائقة كانت انعكاساً لهوس مجتمعنا بالمحاكاة - تمثيلات للواقع غالباً ما تكون أكثر واقعية بالنسبة لنا من العالم الفعلي"¹. من خلال دراسة هذه المساحات الواقعية الفائقة، اعتقد (إيكو) أنه يمكننا إكتساب نظرة ثاقبة للطرق التي تبني بها الثقافة الواقع وتشكل فهمنا للعالم.

ب/- دور " رولان بارت " في تقاطع النقد الثقافي والتفسير

كان (رولان بارت) منظرًا أدبيًا وفيلسوفًا وناقدًا ثقافيًا فرنسيًا. كان له تأثير كبير في مجال التأويل والنقد الثقافي طوال حياته المهنية، استكشف الطرق التي تتقاطع بها اللغة والثقافة والمجتمع ، وكان لعمله دور فعال في تشكيل ممارسات التأويل (التفسير) الحديثة. وكانت إحدى أهم مساهمات "بارت" في مجال التفسير نظريته عن "وفاة المؤلف". تفترض هذه النظرية أن نية المؤلف ليست العامل الأساسي في تفسير النص، وأن معنى العمل يتحدد من خلال تجارب وتصورات القارئ². يرى (بارت) أن النص هو "نسيج من الاقتباسات يعيد القراء تفسيره وإعادة بنائه باستمرار"³. كان لهذه النظرية تأثير عميق على ممارسة التأويل والتفسير، وتحدي المفاهيم التقليدية للتأليف والسلطة.

طور (بارت) أيضًا مفهوم (الأسطورة) كطريقة لفهم وتأويل الطرق التي يتم من خلالها بناء الرموز والروايات الثقافية وإدامتها في المجتمع. لقد جادل بأن "الأساطير ليست مجرد معتقدات خاطئة، ولكنها بالأحرى أنظمة معاني تشكل فهمنا للعالم"⁴. اعتقد (بارت) أنه من خلال تحليل الأساطير الموجودة في النصوص الثقافية ، يمكننا إكتساب نظرة ثاقبة للقيم

¹ - أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2000، ص.86.

² - رولان بارت، لذة النص. ترجمة فؤاد صفا، والحسين سبجان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص.62.

³ - Barthes Roland, l'aventure sémiologique, Ed, seuil, Paris, 1985, p.p 13, 359.

⁴ - المرجع السابق نفسه، ص. 340.

الثقافية والاجتماعية التي تكمن وراءها. كان هذا النهج مؤثراً بشكل خاص في مجالات الإعلام والإعلان، حيث تم استخدامه لتحليل الطرق التي يتم بها إنشاء الروايات الثقافية وإدامتها من خلال وسائل الإعلام. وساهم عمله في سيميائية اللغة في فهم أكثر تعقيداً للطرق التي تعمل بها العلامات والرموز في النصوص الثقافية. ساعدت مساهمات (بارت) في تشكيل ممارسات التأويل الحديثة، ولا يزال إرثه يؤثر على الطريقة التي يتعامل بها العلماء مع تحليل وتأويل النصوص الثقافية اليوم.

ج/- مقارنة ما بعد الحداثة للنقد الثقافي والتأويل: مساهمات "جان فرانسوا ليوتارد"

كان (جان فرانسوا ليوتارد) فيلسوفاً فرنسياً لعب دوراً مهماً في تطوير نظرية ما بعد الحداثة. كانت إحدى مساهماته الرئيسية في مجال النقد والتأويل الثقافي. رفض نهج (ليوتارد) ما بعد الحداثي للنقد الثقافي والتفسير المفهوم التقليدي (للسرد الكبير) أو (ما وراء السرد). ووفقاً (لليوتارد) ، لم تعد هذه الروايات الشاملة صالحة في عصر ما بعد الحداثة. بدلاً من ذلك، جادل بأن " العالم أصبح مجزئاً وتعددياً، مع عدم وجود رواية واحدة تُهيمن على جميع الروايات الأخرى"¹. لذلك، اقترح أن النقد الثقافي والتأويل يجب أن يكونا أيضاً مجزئين ومتعددتين ، مع احتضان تنوع وجهات النظر والتفسيرات الموجودة في العالم.

كانت إحدى مساهمات Lyotard الرئيسية في مجال النقد والتفسير الثقافي هي مفهومه عن (الاختلاف). ووفقاً لـ Lyotard ، يحدث الاختلاف عندما يكون لدى طرفين نزاع لا يمكن حلّه لأنهما يعملان على مجموعات مختلفة من القواعد أو الافتراضات. يمكن أن يحدث هذا في النقد والتفسير الثقافي عندما يقوم طرفان بتأويل نص أو منتج ثقافي بطرق مختلفة جذرياً². جادل (ليوتارد) بأن هذه النزاعات لا يمكن حلّها من خلال مناشدة بسيطة للعقل، حيث يعمل الطرفان من وجهات نظر مختلفة إختلافاً جوهرياً. بدلاً من ذلك ، اقترح أن الطريقة الوحيدة لمعالجة الاختلاف هي لفت الانتباه إلى حقيقة وجوده والعمل على جعله مرئياً.

¹ - جان فرانسوا ليوتارد، لماذا ننقلس؟، ترجمة يوسف السهيلي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1 تونس، 2017، ص.61.

² - المرجع السابق نفسه، ص.66.

إنّ العلاقة بين الدراسات الثقافية والتأويل ، وكذلك تقاطع النقد الثقافيّ مع التأويل، هي مجالات مهمّة للبحث في دراسة الثقافة. من خلال دراسة كيفية إنشاء الثقافة واستهلاكها وتأويلها، يمكن للعلماء اكتساب فهم أعمق للطرق التي تبني بها المجتمعات والأفراد المعنى وينقلونه في العالم من حولهم. وقد شغلت العلاقة بين النقد الثقافيّ والتأويل موقعاً هاماً في مجال الدراسات البينية، حيث يُمثّلان - على المستوى العامّ للنقد الأدبيّ - آليتين إجرائيتين حُظيتا بنصيب وافر من الدراسة، ولا نجانِب الصّواب إذا قلنا أنّ النّظر في العلاقة بينهما أشدّ تعقيداً إلى أبعد الحدود، وأنّ التعمّق العلميّ فيها يلغي الفصل بينهما. وإذا كان لكلّ منهما عوالم خاصّة يختلف بعضها عن البعض الآخر، فإنّ علينا الاعتراف بأنّ التأويل والنقد الثقافيّ قد ارتبطا بأنساق تبادليّة من العلاقات، وقد يحدث أن يتجسّد هذا اللقاء من خلال موضوع المضمرات النصيّة.

الفصل الأول

الإستشراق ماضياً وحاضراً

(قبل وبعد إدوارد سعيد)

تمهيد

هزّ نشر كتاب (الإستشراق) عام (1978م) (لإدوارد سعيد) مجال الدراسات المقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث حلّ الكتاب وأفاد كيف مثل الكُتّاب الغربيون الشّرق مع أعمالهم تشكّلت معرفة الآخر كنتيجة للبناء. لم يكن الشّرق كائناً سلبياً ثابتاً بطبيعته بل كان بالأحرى خليفة بشرية، عبر أجيال من المثقّفين والفنّانين والكُتّاب والمُستشرقين أنتج الغرب صورته عن الشّرق.

تمّ تجانس الشّرق ومعاملته كمفهوم يمكن تحليله وفهمه، كانت تُشكّل فضاءً ثابتاً وثابتاً في حين كان الغرب ديناميكياً ومتغيّراً. أظهر الإستشراق الحاجة إلى التشكيك في تمثيلات الشّرق حتى عام (1978م) ، والأهمّ من ذلك الحاجة إلى خلق طريقة جديدة للحديث والإقتراب منه .

1- تعريف الإستشراق

1.أ- يتبيّن من خلال البحث عن كلمة إستشراق من الناحية اللّغوية أنّ " الإستشراق لغة: مُشتق من كلمة وهي جهة شروق الشّمس، وشرق أخذ في ناحية الشّرق. والسّين في كلمة الإستشراق يُفيد الطّلب أي طلب دراسة ما في الشّرق "¹، فهو يدلّ من جهة على الشّرق كمكان " جهة الشّرق "، ويدلّ من جهة أخرى على دراسة هذا المكان الجغرافي ، ولأنّ كلمة (الإستشراق) من مادة (شَرَق)، يُقال: شَرقت الشّمس شرقاً وشروقاً: إذا طلعت ومما يسترعي الانتباه أنّ كلمة الإستشراق والتي نبحت عن مفهومها اللّغوي، لم ترد في المعاجم العربيّة المختلفة، وليس معنى عدم ورودها في المعاجم اللّغوية منع الباحث من الوصول إلى المعنى الحقيقيّ إستناداً إلى قواعد الصّرف، وعلم الإشتقاق حيث يبدو أنّ معنى إستشراق: " أدخل نفسه في أهل الشّرق وصار منهم " ² ولذلك يُقال التّشريق: الأخذ في ناحية. يُقال شَتّان ما بين مَشرق ومَغرب. وشَرَقوا: ذهبوا إلى الشّرق أو أتوا الشّرق. وكلّ ما طلع من المشرق فقد شرق. فالشرق إذا يرمز إلى ذلك الحيز المكانيّ من الكون وهو الشّرق³، فكلمة الإستشراق

¹- فاروق عمر فوزي، الإستشراق والتّاريخ الإسلاميّ، القرون الإسلاميّة الأولى. دار الأهلّة، ط1، 1998، ص.30.

²- أحمد عبد الحليم السّايح، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلاميّ. الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط1، 1996، ص.10.

³- صالح محمّد حسن الأشرف، الإستشراق مفهومه وآثاره. دار الألوكة، 2016، ص.12.

ليس لها معنى لغويّ مُداول في المعاجم والقواميس اللغويّة القديمة، لأنّ علم الإستشراق علم حديث ولكنّ هناك إشتقاقات لغويّة تدلّ على الشّرق، من حيث أنّه كلّ الشّعوب التي تسكن الجهة الشّرقية من الأرض.

ووفقاً لقاموس "أكسفورد"¹ كان هذا المصطلح يُستخدم للإشارة إلى الموضوع الذي يُعالجه المُستشرقون في أبحاثهم المتعلقة بثقافات وتاريخ ولغات آسيا أو المشرق، وذلك منذ القرن الثّامن عشر حين ظهر هذا التقليد العلميّ. وقد أُستعمل مُصطلح (أورياننتالستيك) (Orientalistik) في كلّ من ألمانيا وإسكندنافيا، إلّا أنّ الاختلاف اللّغويّ سبّب غموضاً فيما يخصّ مسألة الإستشراق.

1.ب/- أمّا الإستشراق من النّاحية الإصطلاحية، "فهو علم يدرس لغات شعوب الشّرق وتراثهم وحضاراتهم ومُجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم"² أي العلم الذي يهتم بالتّراث الشّرقى من حيث المعرفة والدراسة الحضارية والثقافية لهذا التّراث، ويُقال إنّ المقصود به "ذلك التّيّار الفكريّ الذي يتمثّل في إجراء الدّراسات المُختلفة عن الشّرق الإسلاميّ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التّيّار في صياغة التّصورات الغربيّة عن الشّرق عامّة وعن العالم الإسلاميّ بصورة خاصّة مُعبّراً عن الخلفيّة الفكرية للصراع الحضاريّ بينهما"³ وبهذا فإنّ الإستشراق علم غربيّ يدرس تاريخ الشّرق، ثقافته وحضارته وعُلومه، وتطوّرها التّاريخيّ فهو مجال من مجالات البحث العلميّ في الغرب.

2/- مفهوم الإستشراق من منظور إدوارد سعيد

الإستشراق في فكر (إدوارد سعيد) نجد أنّه يميّز بين ثلاث تعريفات وتصورات مُمكنة عن الإشتراق وهي، أولاً: يقول: "إنّني أعني بمصطلح الإستشراق عدّة أمور يعتمد بعضها على بعض، وتبدو - في رأيي - مترابطة. وأمّا أيسر التعريفات المقبولة للإستشراق فهو أنّه مبحث أكاديميّ، بل إنّ هذا المفهوم لا يزال مُستخدماً في عدد من المؤسّسات الأكاديميّة فالمُستشرق كلّ من يعمل بالتّدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصّة

¹ - قاموس أكسفورد الإنجليزي. لندن، 1971، ص.34. Oxford English Dictionary , London, 1971,p.34.

² - فاروق محمّد فوزي، الإستشراق والتّاريخ الإسلاميّ. ص.30.

³ - صالح محمّد حسن الأشرف، الإستشراق مفهومه وآثاره. ص.13.

بالشرق، سواء كان في ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع أو التاريخ أو فقه اللغة¹. ويُفهم من هذا التعريف أنّ الإستشراق في المقام الأول الظاهر والمعلن من طرف الغرب ذاته، هو أنّ الإستشراق علم ينتمي إلى حقل الدراسات الأكاديمية العلمية والمعرفية في الغرب، أي دراسة العالم الغربي للعالم الشرقي من جوانب عديدة وفي تخصصات علمية ومعرفية متعددة.

لكن نجد في التعريف الثاني وفي مؤلف الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق أنّ (إدوارد سعيد) يُعطي "للاستشراق معنى أعم وأشمل يتصل بهذه التقاليد، وهي يرصدها كتاب (الإستشراق) إلى حدّ ما فالإستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يُسمّى (الشرق)، وبين ما يُسمّى (في معظم الأحيان) (الغرب)، وهكذا فإنّ عدداً بالغ الكثرة من الكتاب قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاق لوضع نظريات مفصلة وإنشاء ملاحم، وكتابة روايات، وأوصاف اجتماعية ودراسات سياسية عن الشرق، وعن أهله وعاداته وعن (عقله) و (مصيره)"²

إنّ هذا الفهم على الإستشراق لا يشمل البعد الأكاديمي العلمي والمعرفي الذي إتخذه الغرب شعاراً له في دراسة العالم الشرقي. بل أنّ هذا الشعار يقوم على تمييز أساسي بين عالميين مختلفين لكلّ منهما ميزاته الخاصة التي تميّزه عن الآخر ونتيجة هذا التمييز هو أنّ دراسة الشرق تختلف عن دراسة الغرب فالغربي الذي يدرس العالم الشرقي يُشكّل له الشرق عالماً مخالفاً ومختلفاً عنه في الديانة والثقافة.

أمّا المعنى الثالث للاستشراق وهو معنى يستند في تعريفه إلى عناصر تاريخية ومادية أكثر ممّا يستند المعنيان الآخران، فإذا اعتبرنا أواخر القرن الثامن عشر نقطة عامّة إلى حدّ بعيد استطعنا أن نحلّل ونناقش الإستشراق بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق - والتعامل معه - معناه التحدّث عنه، وإعتماد آراء مُعيّنة عنه ووصفه وتدرّسه للطلاب وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه، وباختصار الإستشراق أسلوباً غربياً للهيمنة على

¹ - إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص.44.

² - المرجع السابق نفسه، ص.45.

الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه¹. ويكشف هذا المفهوم بالإضافة إلى المفهومين السابقين أنّ الإستشراق لا يتوقف عند حدّ الدّراسات الأكاديميّة أو عند المنظور المُختلف للثقافة والحضارة، بل عن أسلوب السّيطرة والقوّة والهيمنة الناتجة عن الإستشراق، أي الدّوافع البعيدة من ورائه والتي تتعدّى كونها فعلاً معرفياً إلى فرض منطق السّيطرة في المجال السّياسي والاقتصاديّ والحضاريّ بعامّة.

" الإستشراق إذاً هو معرفة الشرق التي تضع كلّ ما هو شرقيّ في قاعة الدّرس أو في المحكمة أو في السّجن، أو في الدّليل المصوّر، بهدف الفحص الدّقيق، أو الدّرس أو إصدار الأحكام، أو التّأديب أو تولي الحكم فيه "². ويمكن القول أنّ هذه المفاهيم الثلاثة حول الإستشراق تتقاطع في منظور واحد هو أنّ الإستشراق يمثّل دراسة الغرب لثقافة الشرق، أو كلّ ما يؤسّس له الخطاب الغربيّ حول الشرق سواء كان في مجال المعرفة أو السياسة، لأنّ التّتبّع التاريخيّ لظاهرة الإستشراق يجد أنّ هدفها واحد على اختلاف توجّهاتها وأساليبها ومناهجها.

إنّ الإستشراق كعلم مُستقل له موضوعه ومنهجه ودراساته الخاصّة، لم يتشكّل بطريقة مباشرة، بل أنّه كان نتيجة إهتمامات تاريخيّة، لأنّ لفظ الإستشراق بدأ كصفة للعالم الشرقيّ من ناحية اللّغة وكموضوع للعالم الشرقيّ (دراسة الشرق كموضوع) على مستوى الفكر ثمّ إنتقل إلى أن أصبح واقعاً يتصوّره ويتخيّله الغرب يكتسب صفة الواقعيّة أو مجموعة الصّفات التي أطلقها الغرب عن العالم الشرقيّ، لذلك يبيّن (إدوارد سعيد) أنّ نوع اللّغة والفكر والرّؤية الذي أُطلقت عليه صفة الإستشراق، يُعتبر بتعميم شديد شكلاً من أشكال الواقعيّة الراديكاليّة.

" فكلّ من يستعمل الإستشراق - وهو اعتياد التّعامل مع المسائل والأشياء والصّفات والأصقاع التي تعتبر شرقيّة - يقوم بتحديد وتسميّة وتثبيت والإشارة إلى ما يتحدّث عنه أو يُفكر فيه بكلمة واحدة أو بعبارة واحدة، يرى بعدها أنّها قد إتّخذت طابع الواقع أو أصبحت الواقع نفسه "³، هكذا ينتقل الإستشراق من مستوى اللّغة والفكر إلى مستوى الواقع والفعل

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.45.

² - المرجع السابق نفسه، ص.46.

³ - المرجع السابق نفسه، ص.142.

وهو تلك الصورة التي تثبتتها الغرب في مجال الدراسات الأكاديمية حول العالم الشرقي، حيث تمّ تنميط الثقافة الشرقية في قالب واحد وفي صورة على الرغم من الاختلاف والتعدد الموجود في العالم الشرقي من لغات وعادات وتقاليد وديانات.

وانطلق (إدوارد سعيد) في تعريفه للإستشراق عبر تتبع مساره التاريخي من خلال عرض السياق الذي نشأ فيه، و يشير إلى بدايات الإستشراق في أواخر القرن الثامن عشر بصفته مؤسسة، و يؤكد على أنّ " الإستشراق بلغ مرحلة من السطوة بحيث لم يكن يُقَدِّم أيّ من المُستشرقين في الكتابة عن الشرق دون أن يأخذ في حسابه القيود التي فرضها الإستشراق على الفكر الأوروبي منذ أزمان (أرسخيلوس) الذي يعود (إدوارد سعيد) إلى ذكره، و (فكتور هوجو)، و (دانتى) و حتّى (كارل ماركس) يُدرجه (إدوارد سعيد) ضمن خانة المُستشرقين"¹.

ويُعدّ (إدوارد سعيد) نطاق الإستشراق من خلال تحليل الأدوار التاريخية التي قام بها المُستشرقون. ويُعرِّق (إدوارد سعيد) بين الإستشراق في النّظر البريطاني و الفرنسي أو بصورة أشمل أوروبياً حيث ينظر إلى الشرق باعتباره يحتلّ مكانة خاصّة ضمن الخبرة الأوروبية فليس الشرق مُجاوراً فحسب لأوروبا بل لما تُمثّله من حضارة و ثقافة. أمّا الأمريكيّون فيعتبرون الشرق الذي يرتبط في أذهانهم بصور الشرق الأقصى مثل اليابان والصّين . ويقوم جوهر الإستشراق على اعتبار التّمييز المتأصّل في الثقافة الغربيّة عن الدّونية الشرقيّة. وقد اتّخذ أشكالاً عدّة خلال القرنين التّاسع عشر والعشرين. و يُؤرّخ (إدوارد سعيد) لغزو (نابليون) لمصر باللّحظة التي شهدت انتقال الإستشراق من فكر إلى وجودي عمليّ بالشرق. ونمطيّة عمل الإستشراق في استخدام الخطاب الإستعماريّ عبر آليات لتمكين سيطرته، هذه الآليات الإستعماريّة حلّها (إدوارد سعيد) كالتّالي:

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص.195.

أ/- صناعة أسطورة الشرق : وآلية الإستضعاف

يُنَاقِش (إدوارد سعيد) في الإستشراق الصورة المتخيلة التي تمّ صنّعها عن الشرق الأمر الذي مكّن الثقافة الأوروبية من تدبير أمور الشرق بل ابتداعه في مجالات شتى مثل السوسولوجية و السياسية و الأنثروبولوجيا... ، سعى (إدوارد سعيد) في البحث عن الخلفيات التي تقف وراء هذه النصّية الغربية الموجهة نحو الشرق، وكذلك القصدية التي تُوجّهها، و أيضا البُعد المؤسّساتي التي تقف ما وراء الخطابات الإستشراقية. مثل الجمعيات العلمية التي أنشئت، (الجمعية الآسيوية الفرنسية 1822م)، (الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية 1823م)، و(الجمعية الشرقية الأمريكية 1842م)، وغيرها¹

يُشير (إدوارد سعيد) أنّ الإستشراق سلك منهجين رئيسيين في تقديم الشرق إلى الغرب في مُستهل القرن العشرين، الأول يتوسل طريقة العلم الحديث، أي يعتمد على جهاز النشر في المهن العلمية المختلفة، في الجامعات و المعاهد و صناعة نشر الكتب والمطبوعات المبنية على النسق الإستشراقي، الممتد من الرّحالة و الباحثين و الشعراء الذين أسهم تراكم رؤاهم إلى حدّ تمثيل الشرق، و كان كلّ من يريد أن يقول قولاً يتمتع بأيّ قدر من الأهمية عن الشرق يجد في الإستشراق مصدراً لطاقة تعبيرية يمكنه إستخدامها، وفي النهج الثاني الذي قدّم الإستشراق به الشرق إلى الغرب من ثمار حالة التّلاق، و حدوث الإنتقال النصّي بإكتمال الإستشراق من خطاب علمي إلى مؤسّسة إمبريالية. أي التّطبيق العملي. وهنا تأكيد على أنّ الإستشراق قد إضطلع بدور في ذلك الإنتقال.

ب/- الاستشراق : الصورة التمثيلية و التحدّث بالنيابة

يشتمل عمل الإستشراق " على رسم خارطة معينة عن الآخر العربي ، عبر توسّع المُواجهة التاريخيّة، التّعاطف والتّصنيف هذه هي التّيارات الفكرية في القرن الثامن عشر التي إعتمدت عليها المؤسّسة الإستشراقية الحديثة"².

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.80.

² - سعيد خالد، إدوارد سعيد، ناقد الإستشراق، قراءة في فكره وتراثه. مركز الحضارة لتتمة الفكر الإسلامي، لبنان، بيروت، 2011، ص.24.

والتي ساهمت أيضاً في تحرير الشرق والإسلام من فلك الفحص الديني المسيحي، أي أنّ الإستشراق الحديث يستمد عناصره من العلمانية في الثقافة الأوروبية، وذلك باستخدامه العديد من الأدوات، مثل الروايات و الشعر و أخيراً عبر الصحافة والإعلام و السينما في الإستشراق الحديث، التي تغمر التفكير الشعبي بصور نمطية، عن العرب وبصفتهم قوم يركبون الجمال، إرهابيون، وسفّاكوا الدماء، فالغرب هو المشاهد و القاضي و هيئة المحلفين في كل قضية تتعلق بأيّ جانب من جوانب السلوك الشرقي.

ج/- المعرفة والسلطة الإستشراقية

يُناقش (إدوارد سعيد) محورية العلاقة التي ربطت بين المعرفة و السلطة في الفترة الإستعمارية، و يُبين كيف أنّ المعرفة التي تشكّلت تُعبّر عن العلاقة القويّة التي ربطت بين المستشرقين و السلطات الإستعمارية، و يستشهد (بلفور) الذي ذكر في مجلس العموم البريطانيّ عام 1910م قائلاً: " إنّنا نعرف حضارة مصر خيراً ممّا نعرف حضارة أي بلد آخر، و نعرف تاريخها السّحيق بل نحيط بها إحاطة أوثق و أشمل، و كانت بريطانيا في ذلك الوقت تستعمر مصر"¹، و هو الأمر الذي أراد (إدوارد سعيد) التنبية له، أي بين شكلية العلاقة بين المعرفة و السلطة، و يُضيف أنّ الممارسة الإستشراقية تُقدّم دليلاً على السّيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق بجانب الروابط الوثيقة بينه و بين المؤسسات السياسيّة والإقتصادية التي تمنحه القوة وقدرته على الإستمرار.

ويُشير (إدوارد سعيد) إلى هذه الثنائية ضمن سياق الإستشراق و ما تمثّله من علاقة (فلفور) يقصد (بنحن) أي الإنجليز. إضافة إلى نموذج (لفور) يُورد (إدوارد سعيد) نموذج (نابليون) عندما قام بغزو مصر وتجنيد العشرات من المستشرقين في مختلف المجالات ويُشير إلى أمر مهمّ " وهو إستفادة (نابليون) من كتاب (رحلة في مصر و في سوريا 1788م) (للكونت دي فولنو) وكتاب آخر أيضاً (لفولني) (تأملات في الحرب الجارية مع الأتراك 1788م) ما يُشير إلى الترابط العضوي بين المعرفة و الإستعمار و(نابليون)

¹ - بيل أشكروفت، بول أهلواليا، إدوارد سعيد؛ مفارقة الهوية. ترجمة: سهيل نجم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002، ص.42.

نفسه عند عودته إلى فرنسا أمر نائبه (كليير) بأن يُدير مصر من خلال المُستشرقين وعلماء الدين الإسلاميّين¹.

والأمثلة كثيرة التي يُوردها (إدوارد سعيد)، مثل كتاب " (تاريخ كيمبريدج للإسلام) فضلاً عن كتابات مثل (هيرجرويني)، (ماكدونالد)² وغيرهم من المُستشرقين الإسلاميّين. إذا جاز التعبير.

د/- آليّة لغة الإستشراق : محوريّة اللغة والاستعمار

يُشير (إدوارد سعيد) إلى إستخدامات اللغة في الخطاب الإستشراقي، و تظهر في النصوص الإستشراقية المنتجة، وأي نصّ ليس بريئاً إنّما يُعبّر عن إيديولوجيا محدّدة من القيم، ومن ثمّ في هذا الصّد يقول (إدوارد سعيد) " أنّ الإستشراق أسلوب للخطاب أي للتفكير و الكلام، تُدعّمه مؤسّسات ومفردات و بحوث علميّة، و هي تتمثّل في محورية لغة مرتبطة بالاستعمار والنصّ الروائيّ، مثل كتابات (إدوارد لين) ، (جوستاف فلوبر) (جوبينو) و(إرنست رينان)³. و(إدوارد سعيد) يقدّم نقده عبر فحص البنيات اللغويّة الإستشراقية من خلال الكتابات المنتجة عن وصف الشرق أو التي تؤكّد التفوّق الغربيّ سواء كانت حكايات - أو روايات ...ويُبيّن كيف شارك فقه اللغة و كتابة الروايات و الشعر الغنائيّ و التاريخ ... في خدمة رؤية الإستشراق .

3/- شرح مفهوم ما بعد الإستشراق

كان للنّهج الإستشراقيّ في إنتاج المعرفة تأثير عميق على علاقات القوّة، تاريخياً وفي المجتمع المعاصر، يُشير الإستشراق إلى البناء الغربي للشرق، الذي يتميّز بمجموعة من الصّور النمطيّة والثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة التي تمّ إستخدامها لتبرير السّياسات والمواقف الإمبرياليّة تُجاه الثّقافات غير الغربيّة (الشّرقيّة). كشف كتاب (الإستشراق) المؤثر (لإدوارد سعيد) عن الطّرق التي أُستخدم بها هذا النّوع من إنتاج المعرفة كآليّة للسلطة

1 - سعيد خالد، إدوارد سعيد، ناقد الإستشراق، قراءة في فكره وتراثه. ص.82

2 - المرجع السّابق نفسه، ص.83.

3 - المرجع السّابق نفسه، ص. 85.

وإستُخدم للحفاظ على الهيمنة الغربيّة على الشّرق، وكان للنّهج الإستشراقيّ في إنتاج المعرفة تأثير عميق على علاقات القوّة تاريخياً وفي المجتمع المعاصر، لقد خدم بناء الشّرق ككيان بدائيّ ودونيّ في تبرير الهيمنة الغربيّة على الشّرق. إنّ نقد إنتاج المعرفة الإستشراقية ضروري لمُواجهة علاقات القوّة الموجودة بين الغرب والشّرق، ولتعزيز مجتمع عالمي أكثر إنصافاً وعدالة.

إنّ مفهوم ما بعد الإستشراق، الذي طوّره المفكّر والنّاقد الإيراني (حميد دباشي)، هو نقد لمحدودية مفهوم (إدوارد سعيد) للإستشراق، بينما ركّز إستشراق (إدوارد سعيد) على التّمثيلات الغربيّة للعالم الشّرقية، يسعى (ما بعد الإستشراق) إلى مُواجهة هياكل السّلطة التي تكمن وراء إنتاج المعرفة في العالم، و(ما بعد الإستشراق) هو "دعوة لمنهج أكثر شمولاً وإنصافاً لإنتاج المعرفة"¹. ويرى (حميد دباشي) بأنّ "العالم الشّرقية لديه تقاليده الغنيّة الخاصّة في إنتاج المعرفة والتي تمّ تهميشها وتجاهلها من قبل وجهة النّظر السّائدة المتمحّورة حول الغرب"². ومن أجل مُواجهة هذه الهيمنة يسعى (ما بعد الإستشراق) إلى إنشاء نظام أكثر تنوعاً وشمولية لإنتاج المعرفة، والذي يعترف بمساهمات الأصوات ووجهات النّظر الشّرقية.

ما بعد الاستشراق هو أيضاً دعوة لإنهاء إستعمار إنتاج المعرفة، ويقول (حميد دباشي) "بأنّ النظام التّقليديّ لإنتاج المعرفة قد تمّ تشكيله من قبل الإستعمار والإمبرياليّة ممّا أدّى إلى إستمرار إحتلال توازن القوى وعدم المساواة. من أجل إنشاء نظام أكثر إنصافاً لإنتاج المعرفة، كما يسعى (ما بعد الاستشراق) إلى إنهاء إستعمار إنتاج المعرفة ونشرها، ومواجهة هياكل السّلطة التي تكمن وراءها"³.

فما بعد الإستشراق، كما يُعرّفه (حميد دباشي)، "هو إطار لفهم ومُواجهة هياكل السّلطة التي تكمن وراء إنتاج المعرفة في العالم المعاصر، إنّهُ نقد للطريقة التي يستمر بها الغرب

¹ - الرّبيعيّ فاضل، مابعد الإستشراق الغزو الأمريكيّ للعراق وعودة الكولونياليّات البيضاء. مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، 2007، ص.20.

² - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب. ترجمة باسل عبد الله وطفة، منشورات المتوسّط، ميلانو، إيطاليا، ط1، 2015، ص. 148.

³ - المرجع السّابق نفسه، ص.23.

في السيطرة على إنتاج المعرفة، ودعوة للعمل من أجل إنهاء إستعمار المعرفة والسلطة¹. ومقدمة كتاب (ما بعد الإستشراق المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب) توفر بشكل عام أساساً قوياً للحجج والتحليلات والتأويلات التي سيتم تقديمها لاحقاً، إنه يمهد الطريق لفحص نقدي للعلاقة بين المعرفة والسلطة، ويوفر دعوة للعمل من أجل نهج يكون شاملاً ومُنصفاً لإنتاج المعرفة، ووفقاً (لحميد دباشي) " هو نقد لوجهة النظر الأوروبية للعالم والشرق..."²

ما بعد الإستشراق هو إطار نقدي يسعى إلى مواجهة وتخريب الصور النمطية الإستشراقية التقليدية وتصوّرات الشرق من خلال دراسة ديناميكيات القوة الكامنة في العلاقة بين الغرب والشرق. يعتمد مفهوم ما بعد الإستشراق على عمل (إدوارد سعيد)، الذي اشتهر بصياغة مصطلح (الإستشراق) في كتابه عام (1978م) الذي يحمل نفس الاسم. في حين " أن الإستشراق يُشير إلى البناء الغربي للشرق على أنه غريب وغامض وأقلّ شأنًا "³.

فإنّ ما بعد الاستشراق " يسعى إلى تفكيك هذه الصور النمطية ومواجهتها وإعادة تركيز أصوات ووجهات نظر الأشخاص الذين تمّ تهميشهم تاريخياً وتحريفهم من قبل الإستشراق"⁴. ويدرك ما بعد الإستشراق أيضاً تنوّع وتعقيد الشرق، وتسعى إلى تجاوز التناقضات الثنائية التبسيطية بين الغرب والشرق. وبالتالي فإنّ ما بعد الإستشراق "هو نهج يسعى إلى تمكين وإعطاء صوت لأولئك الذين تمّ إسكاتهم وتهميشهم تاريخياً، وتحديّ الخطابات والتصوّرات السائدة التي أُستُخدمت لتبرير الإمبريالية الغربية والإستعمار والهيمنة "⁵.

وبشكل عام، من خلال الاعتراف بإسهامات الأصوات ووجهات النظر غير الغربية ومن خلال تحديّ هياكل السلطة التي شكّلت إنتاج المعرفة، يسعى ما بعد الإستشراق إلى إنشاء نظام أكثر ديمقراطية وتنوعاً لإنتاج المعرفة.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 13-14.

² - المرجع السابق نفسه، ص.14.

³ - إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق. ص.46.

⁴ -Hamid Dabashi, Post- Orientalism, Knowledge and Power in time of terror. Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey, 2009, p.123.

⁵ - المرجع السابق نفسه، ص.126.

3.أ- ما بعد الإستشراق كإطار ديكلونيالي

ما بعد الإستشراق هو مصطلح صاغه المفكر الإيراني الأمريكي (حميد دباشي) والذي يُشير إلى مقارنة نقدية لدراسة الشرق الأوسط والإسلام تسعى إلى تحدي التحيّزات والصّور النمطية التّاريخية والمعاصرة المرتبطة بالإستشراق. ما بعد الإستشراق هو إطار عمل ديكلونيالي يسعى إلى تحدي السّرديات الأوروبيّة المركزيّة التي هيمنت على دراسة الشرق الأوسط والإسلام ولتقديم نهج بديل يُؤكّد على وُجُهاً نظر شعوب المنطقة.

يرتكز ما بعد الإستشراق على المشروع الأوسع للإنهاء الاستعماريّ، الذي يسعى إلى تحدي إرث الاستعمار والإمبرياليّة وتطويع أطر بديلة لفهم العالم لا تستند إلى وُجُهاً نظر تتمحور حول الغرب.

ظهرت نظرية الديكلونياليّة كردّ فعل على فشل نظرية ما بعد الإستعمار في معالجة إختلالات القوّة المُستمرة وعدم المساواة التي لا تزال تُشكّل العالم اليوم، يرى مُنظّرو الديكلونياليّة " بأنّ إرث الإستعمار والإمبرياليّة يستمر في تشكيل العالم بطرق تُعيد إنتاج عدم المساواة وتُحافظ على أنظمة الهيمنة والقمع"¹.

ما بعد الإستشراق هو إطار إنهاء الإستعمار لأنّه يسعى إلى مُواجهة إنتاج المعرفة الإستشراقيّ الذي سيطر على دراسة الشرق الأوسط والإسلام. بينما الإستشراق هو المصطلح الذي صاغه (إدوارد سعيد)، والذي يُشير إلى عمليّة تمثيل الشرق بطريقة تُعزّز تفوّق وهيمنة الغرب. فالإستشراق هو شكل من أشكال إنتاج المعرفة الذي ينطوي على بناء معارضة ثنائيّة بين الغرب والشرق²، حيث يرتبط الغرب بالعقل والتّقدّم والحضارة في حين يرتبط الشرق باللاعقلانيّة والتّخلّف والهمجيّة. فما بعد الإستشراق يسعى إلى تحدي إنتاج المعرفة الإستشراقيّة، ويتميّز ما بعد الإستشراق بالالتزام بإنهاء إستعمار المعرفة والقوّة، وتتمثّل إحدى السّمات الرئيسيّة لما بعد الإستشراق في تأكّيده على الفاعليّة في تحدي التّمثيل الإستشراقيّ

¹ – Walter D. Mignolo , Delinking ; The rhetoric of modernity, the logic of coloniality and the grammar of de- coloniality, Cultural Studies, vol.20, no.2, 2007,p.498.

² – إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المعرفة السّلطة الإنشاء. ترجمة كمال أبو ديب، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، ط1، بيروت، 1981، ص.57.

للشرق الأوسط والإسلام على أنهما سلبيان ومتخلفان وغير عقلانيان وإبراز قدرة وإبداع شعوب المنطقة.

يسعى ما بعد الإستشراق أيضاً إلى مواجهة الافتراضات والمُتَحَيِّزَات التي شكَّلت دراسة الشرق الأوسط والإسلام. وذلك بمواجهة الافتراض القائل " بأنَّ الغرب يمثل المعيار المعياريّ الذي يتمّ على أساسه الحكم على الثقافات والمجتمعات الأخرى، كما يسعى إلى تحدّي فكرة احتكار الغرب للعقل والمعرفة وتطوير أطر بديلة ترتكز على وُجُهِات نظر وتجارب شعوب المنطقة"¹.

ويؤكد ما بعد الإستشراق أيضاً على الحاجة إلى تجاوز الحدود الأكاديمية التّقليديّة التي اقتصرَت في دراسة الشرق الأوسط والإسلام على تخصّصات معيّنة، مثل الدّراسات الشّرقية والتّاريخ والعلوم السّياسيّة بدلاً من ذلك " فإنّه يُشجّع مناهج متعدّدة التّخصّصات مُستمدة من مجموعة من المجالات، بما في ذلك الدّراسات الثّقافيّة والأنثروبولوجيا ودراسات النوع الاجتماعي ودراسات ما بعد الإستعمار..."². إضافة إلى ذلك يُسلط ما بعد الإستشراق الضّوء على أهميّة الانخراط والتّعلّم من الأصوات المتنوّعة في الشرق الأوسط والعالم الإسلاميّ، بما في ذلك أصوات النّساء والأقليات والمجموعات المهمّشة. وهي تدرك أنّ تجارب وُجُهِات نظر هذه المجموعات غالباً ما تمّ تجاهلها أو إسكاتها في الرّوايات السّائدة حول المنطقة"³.

ومفهوم إنهاء الإستعمار (الدّيكولونياليّة) هو مفهوم اكتسب إهتماماً مُتزايداً في السّنوات الأخيرة لاسيما في مجالات نظرية السّياق النّقديّ ودراسات ما بعد الإستعمار "إنّه يُشير إلى عمليّة تحدّي وتفكيك إرث الإستعمار والإمبرياليّة في جميع مجالات الحياة بما في ذلك إنتاج المعرفة والثّقافة والسّياسة والاقتصاد، ولا تتعلّق إزالة الإستعمار ببساطة بالتّراجع عن الآثار

¹ -Hamid Dabashi The Arab Spring: The End of Postcolonialism, Zed Books Ltd Londo, 2012,p,23- 24.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.27.

³ - المرجع السّابق نفسه، ص. 102.

المادية للإستعمار، ولكنها تتعلق أيضاً بمعالجة الآثار النفسية والثقافية المستمرة للإستعمار"¹.

ويتجذر مفهوم إنهاء الإستعمار في تاريخ الإستعمار، الذي شهد ممارسة القوى الأوروبية هيمنتها على أجزاء أخرى من العالم من خلال الغزو العسكري والإستغلال الإقتصادي والإمبريالية الثقافية. كان تأثير الإستعمار عميقاً، حيث شكّل مجرى التاريخ وترك بصمة دائمة على ثقافات ومجتمعات الشعوب المستعمرة. لا يقتصر هذا التأثير على الفترة الإستعمارية ولكنه يمتد إلى الوقت الحاضر، حيث يستمر في تشكيل ديناميكيات القوة العالمية والتأثير على الطرق التي يتم بها إنتاج ونشر المعرفة والثقافة والسياسة. وأحد المبادئ الأساسية لإنهاء الإستعمار هو الاعتراف " بأن إنتاج المعرفة ليس محايداً، بل يتأثر بعلاقات القوة والسياق التاريخي الذي يتم إنتاجه فيه "². ويميل النهج السائد المتمحور حول الغرب في إنتاج المعرفة إلى إعطاء الأولوية لطرق معينة من التفكير والمعرفة، مع تهميش المنظورات البديلة وأنظمة المعرفة. فتسعى الديكولوجيا إلى مواجهة هذا النهج المتمحور حول الغرب من خلال تعزيز الاعتراف والتحقق من أنظمة المعرفة المتنوعة وطرق المعرفة.

وهناك جانب آخر مهم لإنهاء الإستعمار هو " الاعتراف بالتأثير المستمر للإستعمار على ثقافات ومجتمعات الشعوب المستعمرة، لا يقتصر هذا التأثير على الفترة الإستعمارية ولكنه يمتد إلى الوقت الحاضر، حيث يستمر في تشكيل ديناميكيات القوة العالمية والتأثير على الطرق التي يتم بها إنتاج ونشر المعرفة والثقافة والسياسة "³. فتسعى إنهاء الإستعمار إلى مواجهة هذا الإرث المستمر للإستعمار من خلال الاعتراف بأهمية التنوع الثقافي وفاعلية الشعوب المستعمرة في تشكيل مستقبلها وتعزيزها.

¹ -Grosfoguel, R, The structure of knowledge in Westernized universities: Epistemic racism/sexism and the four genocides/epistemicides of the long 16th century. Human Architecture: Journal of the Sociology of Self-Knowledge, 2013,p, 11(1), 73-90.

² - المرجع السابق نفسه، ص.95.

³ - المرجع السابق نفسه، ص.97.

بشكل عام، يُعتبر مفهوم إنهاء الإستعمار أداة قويّة لتحديّ إرث الإستعمار والإمبرياليّة في جميع مجالات الحياة، وهي تدرك أهميّة وُجّهات النّظر المتنوّعة وأنظمة المعرفة، وتسعى إلى مواجهة الروايات المهيمنة وعلاقات القوّة التي تديم قهر وتهميش الثقافات والشّعوب الشّرقية وغيرها. فتبنّي إطار إنهاء الإستعمار، يُمكننا على العمل من أجل عالم أكثر عدلاً وإنصافاً يُعترف بفاعلية وكرامة جميع الشّعوب، بغض النّظر عن خلفيتهم الثقافيّة أو التّاريخيّة.

الديكولونياليّة هو مصطلح تم تعريفه واستخدامه من قبل العديد من الباحثين عبر مختلف التّخصّصات بما في ذلك علم الاجتماع والعلوم السّياسيّة والفلسفة والدّراسات الثقافيّة، ويُشير بشكل عام إلى إطار عمل نقديّ يسعى إلى مواجهة وتحويل الهياكل والأنظمة المهيمنة التي تديم الإستعمار والإمبرياليّة والنّزعة الأوروبيّة، ويهدف إنهاء الإستعمار إلى إنهاء إستعمار المعرفة والسّلاطة من خلال التّعريف على الطّرق التي شكّل بها الإستعمار والإمبرياليّة مجتمعاتنا وإستمرّا في تشكيلها. وأحد التّعريفات البارزة للانتهاء الإستعماريّ يأتي من الباحثين (والتر مينولو) و (أنيبال كويجانو). يريان بأنّ " إنهاء الإستعمار تنطوي على تحوّل في منظور يتجاوز وُجّهة النّظر الأوروبيّة للعالم، والتي تقوم على فكرة الحداثة والتّقدّم والتّميّة"¹. وتتحدّى إنهاء الإستعمار النّظرة العالميّة المهيمنة على المركزيّة الأوروبيّة وتسعى إلى إنشاء نظريات معرفيّة جديدة مُتجذّرة في تجارب وُجّهات نظر الشّعوب المستعمرة. وفقاً لـ: (Quijano و Mignolo) فإنّ إنهاء الاستعمار " يُشير إلى عمليات المقاومة وخلق بدائل للمنطق السائد للحداثة والاستعمار والرأسماليّة في السّعي لتحقيق العدالة الاجتماعيّة العالميّة"². (مينولو وكويجانو، 2010م).

عالم آخر مؤثّر في مجال إنهاء الإستعمار هو (رامون غروسفوغيل) ، الذي يعرف إنهاء الإستعمار بأنّه "منظور نقديّ ومجموعة من الأدوات التّحليليّة التي تسعى إلى فصل الحداثة عن المركزيّة الأوروبيّة ومعالجة الآثار التّاريخيّة والمستمرة للإستعمار والإمبرياليّة والعنصريّة، على الشّعوب غير الأوروبيّة وإنتاجها المعرفي"³ (جروسفوجيل، 2013م). كما

¹ – Mignolo, W. D., & Quijano, A. Coloniality and modernity/rationality Cultural Studies, 2010, 21(2-3), p. 168-178.

² – المرجع السّابق نفسه، ص. 180.

³ – Grosfoguel, R, op. cit, p80.

حدّدت (ليندا توهيواي سميث)، عالمة الماوري (نيوزيلندا) حيث ترى إنهاء الإستعمار ينطوي على " صراع من أجل السيادة الفكرية والإعتراف بالطرق التي أثار بها الإستعمار على أنظمة المعرفة الأصلية"¹. وفقاً (لسميث)، " الهدف من إنهاء الإستعمار البحثي هو العمل على إستعادة المعارف الأصلية ووجهات نظر العالم وإعادة بنائها وإعادة تقييمها"² (سميث ، 2012م).

فما بعد الإستشراق المصطلح الذي صاغه المفكر الإيراني الأمريكي (حميد دباشي) والذي يسعى إلى تجاوز نقد (إدوارد سعيد) للإستشراق لإنهاء إستعمار المعرفة والسلطة في سياق عالمي، وفي جوهره ما بعد الإستشراق هو إطار ديكولونيالي يسعى إلى تفكيك ديناميكيات القوة المتأصلة في النموذج الإستشراقي الذي سيطر لفترة طويلة على إنتاج ونشر المعرفة حول الشرق وغيره³. وفي جوهره يدرك ما بعد الإستشراق أنّ الإستشراق " ليس مجرد خطاب أكاديمي أو مجموعة من الأفكار ، ولكنه ممارسة مادية لها عواقب في العالم الحقيقي"⁴ فيسعى ما بعد الإستشراق إلى تحدّي الطرق التي إستُخدم بها إنتاج المعرفة الإستشراقية لتبرير الإمبريالية والإستعمار والإستعمار الجديد ، وإعادة تركيز أصوات وتجارب المستعمرين في إنتاج المعرفة.

ولفهم كيفية عمل ما بعد الإستشراق كإطار ديكولونيالي، من الضروري دراسة الأسس النظرية الكامنة وراءه، أولاً وقبل كلّ شيء ، ويتجذّر ما بعد الإستشراق في فكرة إنهاء الإستعمار المعرفي ، والذي يتضمّن تحدّي نظرية المعرفة الغربية السائدة التي تمّ إستخدامها لبناء المعرفة حول العالم غير الغربي. وهذا ينطوي على الإعتراف بأنّ " إنتاج المعرفة ليس محايداً، بل يتشكّل من خلال علاقات القوة والسياقات التاريخية والثقافية"⁵.

¹ –Smith, L. T. Decolonizing methodologies: Research and indigenous peoples. Zed Books, 2012, P.65

² – المرجع السابق نفسه، ص.70.

³ – Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p.193.

⁴ – المرجع السابق نفسه، ص.197.

⁵ – المرجع السابق نفسه، ص. 99.

وهناك جانب رئيسي آخر من جوانب ما بعد الإستشراق هو الاعتراف " بأن المعرفة ليست فقط من إنتاج الأكاديميين والمتقنين، بل يتم بناؤها أيضاً من خلال مجموعة من الممارسات الثقافية والاجتماعية ويشمل ذلك الفن والأدب والأفلام والموسيقى وأشكال الثقافة الشعبية الأخرى، والتي غالباً ما يتم تهميشها في الخطاب الأكاديمي ولكنها ضرورية لفهم تعقيدات ثقافة معينة¹. كما يدرك ما بعد الإستشراق أيضاً " أهمية تقاطع الهوية مع الاعتراف بأن العرق والجنس والطبقة وغيرها من أشكال الهوية تتقاطع وتتفاعل لتشكيل علاقات القوة وإنتاج المعرفة². هذا يعني أن أصوات وتجارب المجتمعات المهمشة يجب أن تتمحور حول إنهاء إستعمار المعرفة والسلطة.

فهدف ما بعد الإستشراق كإطار ديكولونيالي هو تجاوز نقد الإستشراق لتطوير أشكال جديدة من إنتاج المعرفة ونشرها والتي تركز على تجارب ووجهات نظر المستعمر وهذا ينطوي على مواجهة نظرية المعرفة الغربية السائدة والاعتراف بأهمية الأشكال المتعددة للمعرفة والممارسات الثقافية من الناحية العملية، هذا يعني أنه " يجب على العلماء والمفكرين والمنتجين الثقافيين العمل معاً لإنهاء إستعمار المعرفة والسلطة³. وهذا ينطوي على تركيز أصوات وخبرات المجتمعات المهمشة في إنتاج المعرفة، وكذا الانخراط في أشكال جديدة من إنتاج المعرفة التي تتجاوز الخطاب الأكاديمي التقليدي، كما يعني تحدي ديناميكيات السلطة المتأصلة في النظام العالمي الحالي، الذي يهيمن عليه الغرب، والعمل من أجل نظام عالمي أكثر إنصافاً وعدالة.

3.ب/- سياسة إنتاج المعرفة

إن سياسة إنتاج المعرفة هي مفهوم يُشير إلى الطرق التي يتم بها بناء المعرفة ونشرها وإضفاء الشرعية عليها يتضمن تحليلاً لديناميكيات القوة التي تشكل إنتاج ونشر المعرفة وكيف تؤثر هذه الديناميكيات على بناء ونشر المعرفة. لطالما كان إنتاج المعرفة خاضعاً لتأثيرات سياسية واجتماعية. وذلك لأن المعرفة تُبنى ضمن سياقات تاريخية وثقافية

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 102.

² - Grosfoguel, R, op. cit, p.92.

³ - المرجع السابق نفسه، ص. 96.

وإجتماعية محدّدة، وتعكس إهتمامات ووجهات نظر الأفراد والمؤسسات التي تُنتجها وعلى هذا النحو يمكن أن يتأثر إنتاج المعرفة بعلاقات السلطة، بما في ذلك تلك المتعلقة بالجنس والعرق والطبقة والإستعمار.

وفي سياق ما بعد الإستشراق، تكتسب سياسات إنتاج المعرفة أهمية خاصة لأنها معنية بمواجهة وجهة النظر الغربية المركزية للعالم والتي كانت مهيمنة تاريخياً. ويتشكّل إنتاج المعرفة من خلال مصالح ووجهات نظر من هم في مواقع السلطة، يمكن أن يؤدي هذا إلى تهميش وجهات نظر معينة وإمّتياز للآخرين، ممّا قد يؤدي إلى إستمرار إختلال موازين القوى، وعلى سبيل المثال في سياق الإستعمار غالباً ما أستخدمت المعرفة التي تُنتجها القوى الإستعمارية لتبرير سيطرتها على الشعوب المستعمرة، وتمّ بناء هذه المعرفة بطريقة تُصوّر الشعوب المستعمرة على أنّها أقلّ شأنًا وبحاجة إلى (حضارة) من قبل القوى الإستعمارية بالإضافة إلى ديناميات القوة التي ينطوي عليها بناء المعرفة، فإنّ سياسات إنتاج المعرفة تتضمن أيضاً تحليلاً لتأثير السلطة على نشر المعرفة. وهذا يشمل فحص المؤسسات والأفراد الذين يتحكّمون في نشر المعرفة وكيف يستخدمون هذه القوة لتشكيل الفهم العام والخطاب وعلى سبيل المثال كثيراً ما يتمّ التحكّم في وسائل الإعلام الرئيسية والمؤسسات الأكاديمية من قبل الأفراد والمؤسسات الذين لديهم إهتمامات ووجهات نظر خاصة. يمكن أن يؤدي هذا إلى تهميش وجهات النظر البديلة وتعزيز السّرديات المهيمنة التي تُعزّز إختلالات القوة الحالية. " إنّ أحد الآثار الرئيسية لسياسات إنتاج المعرفة هو الحاجة إلى نهج أكثر تنوعاً وشمولية لبناء المعرفة ونشرها. وهذا يشمل إدراج وجهات نظر غير غربية والإعتراف بتنوّع أنظمة المعرفة وأشكال إنتاج المعرفة "¹.

تُشكّل علاقات السلطة طريقة إنشاء المعرفة ونشرها وتلقّيها، تتمتع المجموعات المهيمنة في المجتمع بالقدرة على إنتاج المعرفة والتحكّم فيها، كثيراً ما تُستخدم هذه القوة لتعزيز موقعهم المهيمن. وتعكس المعرفة التي تُنتجها المجموعة المهيمنة نظرتهم للعالم وقيّمهم وإهتماماتهم. غالباً ما يتمّ تقديمها على أنّها موضوعية وعالمية ، ولكنها في الواقع ذاتية وتعكس تحيزات ووجهات نظر المجموعة المهيمنة. ولا تقتصر ديناميكيات السلطة التي

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.152.

ينطوي عليها إنتاج المعرفة، على إنتاج المعرفة من قبل الأفراد أو الجماعات. كما أنها تمتدّ إلى المؤسسات التي تتحكّم في إنتاج المعرفة ونشرها.

على سبيل المثال غالباً ما تخضع الجامعات والمؤسسات البحثية وشركات النشر لسيطرة المجموعة المهيمنة في المجتمع، لديهم القدرة على تحديد المعرفة التي تُعتبر قيّمة وجديرة بالنشر، حيث تسمح لهم هذه السلطة بتعزيز الأيديولوجية المهيمنة وتهميش وجهات النظر البديلة. ولا تقتصر ديناميات القوة التي ينطوي عليها إنتاج المعرفة على المجموعة المهيمنة هناك أيضاً ديناميات القوة التي تُشارك في إنتاج المعرفة من قبل الفئات المهمّشة غالباً ما تفتقر المجموعات المهمّشة إلى الوصول إلى الموارد اللازمة لإنتاج المعرفة، مثل التمويل ومرافق البحث وفرص النشر. هذا النقص في الوصول يحدّ من قدرتهم على مواجهة السرديات السائدة والمساهمة في إنتاج المعرفة.

وهذا يمكن أن يؤدي إلى إدامة عدم المساواة والظلم الاجتماعي، ويمكن أن يؤدي إستبعاد وجهات النظر المهمّشة أيضاً إلى الحدّ من تطوير الأفكار والابتكارات الجديدة.

3.ج/- سياسة التمثيل

التمثيل هو عملية خلق المعنى من خلال اللغة أو الصور أو غيرها من أشكال الوسائط في سياق ما بعد الإستشراق، يُعتبر التمثيل مهماً بشكل خاصّ لأنّه يُشكّل فهمنا للثقافات المختلفة ومكانها في العالم. يمكن أن يكون للطريقة التي يتمّ بها تمثيل الثقافات في الخطاب ووسائل الإعلام تأثير عميق على علاقات القوة بين المجموعات المختلفة، على الصّعيدين المحلي والدولي. وتاريخياً غالباً ما مثّل الغرب الثقافات الشرقيّة بطرق تعمل على تعزيز الهيمنة والتفوّق الغربيين، ويتّضح هذا بشكل خاصّ في الطريقة التي تمّ بها تمثيل الشرق في الخطاب الغربي، كما قال (إدوارد سعيد) "لقد تمّ بناء الشرق على أنّه (الآخر) الغامض والغريب، والذي يعمل على تعزيز تفوّق الثقافة والمعرفة الغربية"¹.

يمكن رؤية تأثير هذا النوع من التمثيل في الطريقة التي تعاملت بها القوى الغربية تاريخياً مع الثقافات الشرقيّة على سبيل المثال كان مدفوعاً في جزء كبير منه بالاعتقاد بأنّ

¹ - إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق، ص.75.

"الثقافات الشرقية كانت أقل شأنًا وبحاجة إلى (الحضارة) الغربية"¹. فيعزّز هذا النوع من التمثيل أيضاً الصور النمطية والمواقف السلبية تجاه الثقافات الشرقية والتي يمكن أن تسهم في التمييز والتّحيز.

حيث يسعى ما بعد الإستشراق إلى تحدّي هذا النوع من التمثيل من خلال إبراز فاعلية الثقافات الشرقية في تمثيل نفسها، ممّا يعني الاعتراف بتنوّع وتعدّد الثقافات الشرقية والاعتراف بأصواتهم ووجهات نظرهم، وإحدى الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك هي من خلال استخدام وسائل الإعلام البديلة وقنوات التمثيل. قد يشمل ذلك استخدام وسائل التواصل الاجتماعيّ أو مصادر الأخبار البديلة لمواجهة الروايات السائدة حول الثقافات الشرقية. وقد يتضمّن أيضاً إنشاء أشكال جديدة من الإنتاج الثقافيّ تُواجه التمثيلات السائدة للثقافات الشرقية.

أما الطريقة الأخرى التي يمكن من خلالها مواجهة سياسات التمثيل هي استخدام اللغة فمرحلة ما بعد الاستشراق تُدرك قوّة اللغة في تشكيل فهمنا للعالم وتسعى إلى مواجهة الخطابات السائدة من خلال استخدام لغة ومصطلحات بديلة. قد يشمل ذلك استخدام مصطلحات مثل (الجنوب العالمي) بدلاً من (العالم الثالث) والتي تعمل على مواجهة النظرة الغربية إلى العالم. ونقد سياسة التمثيل هو أيضاً جانب حاسم في إنهاء إستعمار المعرفة والسلطة. من خلال مواجهة التمثيلات السائدة للثقافات الشرقية، يمكننا البدء في خلق علاقات قوّة أكثر مساواة وعدالة بين الثقافات والجماعات المختلفة، وهذا مهمّ بشكل خاصّ في سياق العولمة، حيث تتغيّر ديناميات القوّة بين الثقافات والأمم المختلفة باستمرار كما تُعتبر سياسة التمثيل جانباً حاسماً في فكر ما بعد الإستشراق الذي يسعى إلى مواجهة الطرق التي تمّ بها تمثيل الثقافات الشرقية تاريخياً في الخطاب ووسائل الإعلام.

والعلاقة بين التمثيل والمعرفة والسلطة مُعقّدة ومتعدّدة الأوجه يُشير التمثيل، في هذا السياق إلى الطرق التي يتمّ بها تصوير الشرق والثقافات، وتصويرهم في أشكال مختلفة من وسائل الإعلام والخطاب، حيث يمكن أن تؤثر على كيفية إدراكهم وفهمهم ومعاملتهم من

¹ – Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p.207.

قبل الآخرين. ويلعب التمثيل أيضاً دوراً في تشكيل الروايات والتاريخ الثقافي، وغالباً ما يتم التحكم في السرد الثقافي السائد من قبل من هم في مواقع السلطة، ويمكن استخدامه لتعزيز أيديولوجيات معينة أو تعزيز هياكل السلطة القائمة، على سبيل المثال كثيراً ما استخدمت القوى الاستعمارية الروايات الثقافية لتبرير هيمنتها على المجتمعات الأخرى وتصويرها على أنها أقل شأناً أو بدائية والتي قد يتم استبعادها من الوصول إلى الموارد والفرص الضرورية للنجاح.

ففي سياق ما بعد الإستشراق يكون تأثير التمثيل على المعرفة والسلطة مهماً بشكل خاص، حيث يعتمد الإطار الإستشراقي كما جاء ذلك في كتاب (الإستشراق) (لإدوارد سعيد) بشكل كبير " على التتميط وإضفاء الطابع الجوهري على الثقافات الشرقية، مما يديم ديناميكية السلطة التي وضعت الغرب في المركز والشرق في الهامش"¹، وكان لهذا الإطار تأثير دائم على كيفية تمثيل وإدراك الثقافات الشرقية في المجتمعات الغربية، ليس فقط في تشكيل المواقف الثقافية ولكن أيضاً السياسات السياسية والاقتصادية.

ولمواجهة تأثير التمثيل الإستشراقي على المعرفة والسلطة يسعى ما بعد الإستشراق إلى تفكيك ومواجهة الروايات الثقافية والقوالب النمطية السائدة. يتضمن ذلك " تحليلاً نقدياً للطرق التي تم بها تمثيل الثقافات غير الغربية تاريخياً وتطوير روايات بديلة تواجه التصورات الجوهريّة والاختزاليّة. كما أنه ينطوي على تضخيم أصوات ووجهات نظر أولئك الذين تم تهميشهم تاريخياً في إنتاج المعرفة وتمثيلها."²

وفي سياق علاقات القوة يمكن أن يساهم التمثيل في إنتاج القوة بعدة طرق أولاً يمكن استخدام التمثيل لتعزيز هياكل السلطة القائمة من خلال الترويج لصور وروايات معينة تدعم المجموعات المهيمنة وتهمش المجموعات التابعة لها على سبيل المثال تمثيل المرأة في وسائل الإعلام على أنها سلبية وضعيفة وعاطفية يعزز هياكل السلطة الأبوية ويحد من وصول المرأة إلى الموارد والفرص.

¹ - إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق، ص. 82.

² - حميد دباشي، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص. 35-36.

وبالمثل فإنّ تصوير الثقافات الشرقيّة على أنّها بدائيّة، وغريبة، وأقلّ شأنًا يعزّز هياكل السّلطة الإستعماريّة ويُبَرِّر الهيمنة الغربيّة على المجتمعات الشرقيّة. ثانيًا يمكن إستخدام التّمثيل لإضفاء الشرعيّة على علاقات السّلطة من خلال خلق شعور بالطبيعة والحميّة حولها عندما تتكرّر بعض الصّور والروايات باستمرار ويتمّ تعزيزها، فإنّها تصبح طبيعيّة ومقبولة على أنّها النّظام الطّبيعيّ للأشياء وعلى سبيل المثال فإنّ تمثيل الفقر كمشكلة فردية وليس كمشكلة منهجيّة يعزّز فكرة أنّ الفقر هو نتيجة طبيعيّة لإخفاقات شخصيّة، وليس نتيجة لقضايا هيكلية أكبر مثل عدم المساواة الإقتصاديّة.

ومع ذلك فإنّ عمليّة التّمثيل ليست محايدة وموضوعيّة. تتشكّل من خلال ديناميكيّات القوّة الموجودة داخل المجتمع، بما في ذلك التّوزيع غير المتكافئ للموارد والفرص ورأس المال الثّقافيّ، وأولئك الذين لديهم وصول أكبر إلى الموارد ورأس المال الثّقافيّ هم أكثر قدرة على التّحكّم في عمليّة التّمثيل وتشكيلها على صورتهم الخاصّة ونتيجة لذلك يتمّ تهميش وإستبعاد مجموعات معيّنة بشكل منهجيّ من عمليّة التّمثيل، ممّا يُعزّز وضعها التّبعيّ داخل المجتمع¹.

علاوة على ذلك ، لا يتشكّل التّمثيل فقط من خلال ديناميكيّات القوّة الموجودة داخل المجتمع ، ولكنّه يُساهم أيضاً في إنتاج السّلطة من خلال تشكيل تصوّرات النّاس وفهمهم للواقع الاجتماعيّ، فالصّور والروايات التي يتمّ تداولها عبر وسائل الإعلام والثّقافة الشعبيّة وأشكال التّمثيل الأخرى تُشكّل الطّريقة التي يفهم بها الأفراد أنفسهم والآخرين والعالم من حولهم، عندما يتمّ تمثيل مجموعات معيّنة باستمرار بطرق سلبية أو نمطيّة ، يمكن أن تسهم في إنتاج مواقف سلبية وتحيّزات تُجاه تلك المجموعات، والتي يمكن أن تُعزّز بدورها تهميشها وإستبعادها من المجتمع.

ولقد كان تمثيل الغرب التّاريخيّ للعالم الشرقيّ موضوع للكثير من النّقد والتّدقيق على مرّ السّنين. وقد تميّز هذا التّمثيل بعدد من التّحيّزات والإفتراسات والصّور النمطيّة التي ساهمت في تهميش وإخضاع الثقافات والشّعوب الشرقيّة. وأحد هذه الإنقادات الرّئيسيّة للتّمثيل الغربيّ

¹ – Smith, L. T, A, op. cit, p.207.

للعالم الشرقيّ هو العدسة الإستشراقية التي ينظر من خلالها العلماء الغربيّون تقليدياً إلى الثقافات الشرقيّة. وقد ذكر (إدوارد سعيد) في كتابه (الإستشراق) ، بأنّ " التّمثيلات الغربيّة للشرق لم تكن موضوعيّة، بل تشكّلت بدلاً من ذلك من خلال رغبة الغرب في السيطرة على الشرق والسيطرة عليه ¹. ويرى (إدوارد سعيد) "بأنّ العلماء الغربيّين قد أوجدوا خطاباً إستشراقياً قائماً على مجموعة من الافتراضات حول الشرق، مثل فكرة أنّه غريب وغير عقلانيّ بطبيعته، وأنّ الغرب لديه مهمّة حضاريّة لإحلال النظام والتّقدم والرّقيّ في الشرق" ².

وقد كان لهذا الخطاب الإستشراقي عدداً من التّداعيات على الطّريقة التي يمثّل بها الغرب العالم الشرقيّ أولاً، أدّى ذلك إلى تهميش الأصوات ووجهات النّظر غير الغربيّة حيث وضع الغرب نفسه كصوت رسميٍّ وممثلاً شرعياً على الشرق، هذا يعني أنّ الثقافات والشّعوب غير الغربيّة غالباً ما يتمّ تحريفها أو تجاهلها ببساطة في التّمثيلات الغربيّة للشرق. ثانياً، لقد أدّى إلى استمرار عدد من الصّور النمطية والأحكام المُسبقة حول الشرق مثل فكرة أنّه كان عالماً ثابتاً لا يتغيّر، وأنّه كان بطبيعته متخلّفاً وبدائياً، وأنّه بحاجة إلى التّدخل الغربيّ لنقله إلى العصر الحديث. ففكرة أنّ الثقافات الشرقيّة كانت بطبيعتها متخلّفة وبحاجة إلى التّدخل الغربيّ ما مبرّر إستعمار الكثير من إفريقيا وآسيا في القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين. كما أنّ هذا التّمثيل للعالم الشرقيّ كان له أيضاً عدداً من الآثار المترتّبة على الطّريقة التي تعامل بها الغرب مع الثقافات والشّعوب الشرقيّة، على سبيل المثال أدّى ذلك إلى فرض القيم والمعايير الغربيّة على المجتمعات الشرقيّة ، على حساب الثقافات والتّقاليد المحليّة. كان لهذا الأمر تأثيراً متجانساً على العالم، حيث تآكلت الثقافات والتّقاليد المحليّة لصالح النّموذج الغربيّ للتّقدّم والحداثة.

¹ - إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربيّة للشرق. ص. 190.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 192.

3.د/- دور الثقافة في مرحلة ما بعد الإستشراق

يُعتبر دور الثقافة في مرحلة ما بعد الإستشراق أمراً حاسماً لأنها تعمل كموقع للمقاومة ضدّ هياكل السّطة المهيمنة. يقول (حميد دباشي) في كتابه (ما بعد الاستشراق المعرفة والسّطة في زمن الإرهاب) " أنّ الثقافة كانت أداة مركزية في بناء ونشر علاقات القوّة لاسيما في سياق الإستشراق ¹. لذلك من الصّور دراسة دور الثقافة في إطار ما بعد الإستشراق

ويؤكد (حميد دباشي) " أنّ الثقافة قد تمّ نشرها كموقع للصّراع بين الشرق والغرب حيث سعى الغرب للسيطرة على الشرق والسيطرة عليه من خلال فرض معايير وقيمه الثقافية وكانت هذه الإمبريالية الثقافية سمة مركزية للإستشراق، الذي صوّر الشرق على أنّه أدنى ثقافياً من الغرب، ونتيجة لذلك أصبح الإنتاج الثقافي وسيلة لإضفاء الشرعية على علاقات القوّة وتعزيز الهيكل الهرمي للعالم ². ومع ذلك فإنّ ما بعد الإستشراق يُواجه هذا الخطاب المهيمن من خلال إعادة تقييم الثقافة ودورها في علاقات السّطة. ويرى (حميد دباشي) بأنّه لا ينبغي النظر إلى الثقافة على أنّها كيان ثابت، بل على أنّها عملية ديناميكية ومتطورة يتمّ التفاوض بشأنها والتنازع عليها باستمرار. لذلك يمكن أن تكون الثقافة موقعاً للمقاومة ضدّ هياكل السّطة المهيمنة.

ويعترف ما بعد الإستشراق بفاعلية الشرق في تشكيل وتعريف ثقافته. كم يؤكد هذا النهج على أهميّة التّجهين الثقافي واختلاط الثقافات في تكوين هويّات ثقافية جديدة ويُنظر إلى الثقافة على أنّها وسيلة مقاومة وتمكين ضدّ الإمبريالية الثقافية للغرب ويرى (حميد دباشي) كذلك بأنّ " ما بعد الإستشراق يدعو إلى إعادة التفكير جذرياً في العلاقة بين الثقافة والسّطة وهو يؤكد أنّ الغرب كان تاريخياً مذنباً بالإمبريالية الثقافية ، وفرض معايير وقيمه الثقافية على الشرق ³، لهذا يدعّو ما بعد الاستشراق إلى إنهاء استعمار الثقافة والاعتراف بالتنوّع والاختلاف الثقافي.

¹ - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسّطة في زمن الإرهاب. ص. 16.

² - Hamid Dabashi, Post- Orientalism, Knowledge and Power in time of terror. P, 337.

³ - المرجع السابق نفسه، ص. 339.

ويدرك ما بعد الإستشراق أهميّة المعرفة المحليّة والممارسات الثقافيّة. وقد أكّد (حميد دباشي) أنّ " الغرب يميل إلى النّظر إلى الثقافات الشّرقية على أنّها غريبة وبدائيّة، ويتجاهل المعرفة والممارسات القيّمة الموجودة داخل هذه الثقافات "¹.

ما بعد الإستشراق هو إطار عمل نقديّ يهدف إلى مُواجهة السّرد السائد عند الغرب عن الشّرق وشعبه وإنّ أحد الجوانب الرّئيسيّة لفكر ما بعد الإستشراق هو تأكّيده على دور الثقافة في تشكيل المعرفة وعلاقات السّلطة ومن هذا السّياق يُنظر إلى الثقافة على أنّها موقع مقاومة ضدّ هياكل السّلطة المهيمنة التي اضطهدت تاريخياً المجتمعات غير الغربيّة وهمّشتها. ويقول (حميد دباشي)، الباحث البارز في فكر ما بعد الإستشراق أنّ " الثقافة تلعب دوراً مهمّاً في تشكيل فهمنا للعالم ومكاننا فيه "². حيث كتب في كتابه (ما بعد الإستشراق المعرفة والقوّة في زمن الإرهاب)، " الثقافة هي المكان الذي تُصنع فيه المعاني وتُعاد تشكيلها حيث تتشكّل الأيديولوجيّات وتتنازع فيها، حيث تُبنى العلاقات الاجتماعيّة وتُفكّك "³ فبالنسبة (لحميد دباشي)، " الثقافة ليست مجرد مجموعة من الممارسات أو المعتقدات ولكنها عملية ديناميكيّة تتطوّر وتتغيّر باستمرار "⁴. فمن خلال الثقافة يستطيع الأفراد والمجتمعات مقاومة هياكل السّلطة المهيمنة وتأكيد هويّاتهم ورواياتهم.

ومن الطّرق الأساسيّة التي أُستخدمت بها الثقافة لمقاومة هياكل السّلطة المهيمنة طريقة التّعبير الفنّي، حيث يرى نقاد ما بعد الإستشراق أنّ " الفنّ والأدب يمكن أن يكونا أدوات قويّة لمواجهة الروايات السائدة وتعزيز وجهات النّظر البديلة "⁵. ويذكر (حميد دباشي) في كتابه (إيران شعب قاطع) دور الشّعْر الفارسيّ في تشكيل الثقافة والهويّة الإيرانيّة، حيث يرى بأنّ "الشّعْر الفارسيّ كان أداة حيويّة للإيرانيين لمقاومة الإستعمار وتأكيد هويّتهم الثقافيّة "⁶.

¹ – Hamid Dabashi, Iran: A People Interrupted. The New Press, 2008, p, p,28–3.

² – المرجع السّابق نفسه، ص. 32.

³ – حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب. ص. 321.

⁴ – Hamid Dabashi, Iran: A People Interrupted, p, 35.

⁵ – Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p,143.

⁶ – Hamid Dabashi, Iran: A People Interrupted, p, 109.

إضافة إلى التعبير الفنيّ، تلعب الثقافة أيضاً دوراً مهماً في تشكيل الحركات السياسيّة والتغيير الاجتماعيّ. ويرى نقاد ما بعد الإستشراق بأنّ " الممارسات والمعتقدات الثقافيّة يمكن أن توفر الأساس للحركات الاجتماعيّة التي تواجه هياكل السّلطة المهيمنة "¹. على سبيل المثال كانت إنتفاضات الربيع العربيّ في عام 2011م مدفوعة في جزء كبير منها بالرغبة في مواجهة الهيمنة الثقافيّة والسياسيّة للقوى الغربيّة في الشرق الأوسط.

ولا يزال دور الثقافة في الفكر ما بعد الإستشراق مجالاً حيويّاً للبحث للعلماء والنّاشطين الذين يسعون إلى مواجهة هياكل السّلطة المهيمنة من خلال التأكيد على الطّبيعة الديناميّة والمتنازع عليها للثقافة، يستطيع مفكرو ما بعد الإستشراق تقديم فهم دقيق للطرق التي يتمّ بها بناء المعرفة والسّلطة والتّنازع عليها في عالمنا المعولم. وكثيراً ما كانت الثقافة موقعاً متنازعا لعلاقات السّلطة، حيث تستخدمها الجماعات المهيمنة للحفاظ على هيمنتها على المجموعات التّابعة، وهذا مهمّ بشكل خاصّ في سياق إنهاء الإستعمار، حيث كان النّضال من أجل التّحرر الثقافيّ جانباً مهماً من الحركات المناهضة للإستعمار. حيث شدّدت الحركات القوميّة كثيراً على أهميّة الحفاظ على ثقافات السّكان الأصليين وتعزيزها كوسيلة لتأكيد إستقلالهم عن القوى الإستعماريّة.

يمكن أن تتضمّن المقاومة الثقافيّة أيضاً إنشاء روايات مُضادة تُواجه الروايات السّائدة. فقد سعت أعمال الكتّاب ما بعد الإستعمار الذين إستخدموا فنّهم كوسيلة لمواجهة الروايات الإستعماريّة والإمبرياليّة كرواية المؤلّف النيجيريّ (تشينوا أتشيبي) (أشياء تتداعى) مُضادة للسرد الإستعماريّ الغربيّ عن الوحشيّة والبدائيّة الإفريقيّة

بالإضافة يمكن أن تشمل المقاومة الثقافيّة أيضاً إنشاء مساحات ثقافيّة بديلة. كوسائل الإعلام والمراكز المجتمعيّة والمهرجانات الثقافيّة... حيث توفر هذه المساحات فرصة للمجموعات المهمّشة للتعبير عن هويّتهم الثقافيّة وتأكيد فاعليّتهم في مواجهة الأعراف الثقافيّة الغربيّة حيث تعتبر النّظرة الغربيّة للثقافة مشكلة منتشرة في العالم الأكاديمي، حيث كثيراً ما تهيمن المنظورات الأوروبيّة المركزيّة على الخطاب. فيؤدّي ذلك إلى تهميش الثقافات

¹ – Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p,130.

الشرقية وكثيراً ما تتجاهل النظرة الغربية للثقافة فاعلية ومقاومة الثقافات الشرقية، حيث كثيراً ما ركزت دراسة الإستعمار وما بعد الإستعمار على أفعال المستعمرين الغربيين، بينما تتجاهل الشعوب المستعمرة ومقاومتها يفشل هذا المنظور في الاعتراف بالطرق التي قاومت بها الثقافات الشرقية الإستعمار وحافظت على تقاليدها الثقافية في مواجهة الهيمنة الغربية.

4/- مفهوم ما بعد الإستشراق من منظور حميد دباشي

(حميد دباشي) باحث في الدراسات الإيرانية والأدب المقارن كتب على نطاق واسع في ما بعد الإستشراق، تستند رؤيته لما بعد الإستشراق إلى أعمال (إدوارد سعيد)، ولكنها تسعى أيضاً إلى تجاوز إطار (إدوارد سعيد) بعدة طرق. يرى (حميد دباشي) أن ما بعد الإستشراق " لا ينبغي أن يكون مجرد مواجهة التصورات الغربية للشرق، ولكن يجب أن تشمل أيضاً إعادة فحص التصورات الذاتية"¹، كما يؤكد أن للشرق تقاليد ثقافية وفكرية خاصة به وكثيراً ما تم تجاهلها في الغرب، وأن ما بعد الإستشراق يجب أن ينطوي على عملية إستعادة هذه التقاليد والاحتفال بها.

وفي الوقت نفسه ينتقد (حميد دباشي) ما يراه على أنه ميل بين بعض نقاد ما بعد الإستعمار لتبني سياسة ضيقة قائمة على الهوية وتتجاهل القوى العالمية الأكبر التي تشكل علاقات القوة المعاصرة. وهو يدعو إلى إتباع نهج أكثر دقة بالتفاعل المعقد بين القوى المحلية والعالمية، ويسعى إلى فهم الطرق التي ترتبط بها المجموعات والمناطق المختلفة داخل نظام عالمي أكبر. وتتضمن رؤية (حميد دباشي) لما بعد الإستشراق التزاماً بإنهاء إستعمار إنتاج المعرفة وتمكين الأصوات ووجهات النظر المهمشة للبروز... يرى ما بعد الإستشراق " كمشروع ديناميكي ومُستمر يتطلب مشاركة وحواراً مُستمرين بين النقاد والناشطين من خلفيات ووجهات نظر مختلفة"².

يدعو (حميد دباشي) كما يُفصّل في كتاب (ما بعد الإستشراق ، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب) إلى تجاوز حقبة ما بعد الإستعمار في حدّ ذاتها لأنها نتاج للخيال

¹ - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص.270.

² - المرجع نفسه، ص.235.

الإستعماريّ الأوروبيّ بحسب قوله، ويُعلن أنّ المرحلة الإستعماريّة التي ولّدت فكرياً أصوات ما بعد الإستعمار بدءاً من الشّاعر الإفريقيّ (إيمي سيزير) مروراً (بفانون) وحتى (إدوارد سعيد)، أخذت مجراها، " ولم يُعد لهذا النّظام المعرفيّ أيّة نتيجة معرفيّة ذات مغزى، ولم تعد كلمة (نحن) تعني الشّعوب المُجمّعة في الجنوب "¹.

فبالنسبة للبعض من هذا (النّحن) قد هاجر إلى شمال العالم مُطاردين رؤوس المال بحثاً عن فرص عمل وذهبت رؤوس الأموال تطارد العمالة الرّخيصة في جنوب العالم، وبذلك فإنّ كلمة (نحن) لم تعد مُتعلّقة باللّون وبالقارة، بل تشمل جميع أولئك المحرومين من العمليّة العالميّة لرأس المال سواء في شمال كوكب الأرض أو جنوبه، أصبح رأس المال المُعولم هذا في حدّاته الأصليّة أوروبياً بشكل سطوريّ. إنّهُ يدعو بلا مواربة إلى شكل يتجاوز في حال أسلافنا من الحقبة الإستعماريّة وما بعد الإستعماريّة وما بعد الحداثة.

تتلخّص صيّاغته تلك، كما يطرحه في كتابه (ما بعد الإستشراق ، المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب) بالنّظر إلى أنّ الإستشراق " كوسيلة لإنتاج المعرفة ليس مشروعاً مُغلّقا ومُكتملاً ، وأنّ الإستشراق كان نتاجاً للحظة معيّنة في تاريخ الإستعمار الأوروبيّ، وأنّ تفكيك طريقة إنتاج المعرفة والتي كانت موضوع النّقد الرّزين (لإدوارد سعيد) والتي كانت في المقام الأوّل وجهة نظر نقدية أدبيّة حول أزمة التّمثيل كجزء لا يتجزأ من العلاقة ما بين المعرفة والسّلطة قد تفكّكت الآن "².

وأنّه لتجاوز التّنظير الفوري (لإدوارد سعيد) ينبغي أن تتغيّر مقاومة الإستشراق إلى شكل يتداعى ويتواكب مع مصير الإمبرياليّة، وهكذا يسعى (حميد دباشي) إلى صياغة إستشراق مُختلف من النّاحية التّاريخيّة، حيث يرى أنّ تحوّل الإستشراق الكلاسيكيّ إلى دراسات المناطق ومنها إلى المعرفة، التي تستعمل لمرة واحدة بواسطة مراكز البحوث الأمريكيّة والأوروبيّة جاء بالتزامن مع صعود إمبراطوريّة دون هيمنة، وأنّ فكرة مراكز (البحوث اليمنيّة) اليوم مثل (معهد واشنطن) لسياسة الشّرق الأدنى الصّهيونيّ أو (معهد هوفر) التّابع للمُحافظين الجدد يُعتبر انعكاساً مُؤسّسياً لهذا التّحوّل، وقد حلّت إلى حدّ كبير محلّ

¹ - المرجع نفسه، ص. 239.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 271-272.

الجامعات كمؤسسات أساسية لهذه الأنماط من إنتاج المعرفة، التي تعمل تحت الخدمة الفورية للإمبراطورية.

وفي هذا المسعى، فإنه يوجّه نقداً لاذعاً إلى المعرفة السريعة التي يتم إنتاجها على غرار الوجبات السريعة، فيقول "مع إشباع معرفي كاذب تغزو الولايات المتحدة الأمريكية أفغانستان أو العراق وتبدأ هذه المراكز البحثية بإنتاج المعرفة حول تلك البلدان، تصدر عن معرفة ضئيلة أو مُنعدمة، ويجري التخلّص منها تماماً"¹. وأصبحت اليوم مراكز القوى المتغيرة بلا ملامح، وأصبحت تنتج أنماطاً من المعرفة، على القدر نفسه من عدم الاستقرار، ولذلك، لا مندوحة من أن يتشارك العالم اليوم بفاعلية في ما يدعوه (حميد دباشي) (جغرافيا التحرر) في إعادة تخيل نفسه، ثم إنجاز معرفة عن الحاضر كشكل من أشكال الشهادة على التاريخ

لقد حصل تغير في بنية المجتمعات الغربية، أصبحت، بموجبه مزيجاً من المهاجرين الذين غدوا يُمثلون طبقة لا يمكن نكرانها في نسيج مجتمعاتها المعاصرة. وأصبح مطلوباً منهم الاندماج والتنازل عن بعض من خصوصيتهم الوطنية، من أجل تحسين وضعهم في البلدان الغربية (أوروبا وأمريكا)، لفترة ما بعد الكولونيالية قد انتهت بناءً على أحدث الدراسات في هذا المجال. وفي هذا الإطار لم يعد مطلوباً من الشرقي، أن يتكلم، ولا أن يُبرّر حضوره لأنه كما يقول المقارن الأمريكي - إيراني (حميد دباشي) "أوروبا اليوم ميتة"² ويعني بذلك أنّ المنظومة المعرفية الغربية لم تعد تُنتج معرفة منظمة عن الشرق.

وبما أنّ الأمر كذلك فالمطلوب من الشرق هو إنجاز منظومة معرفية خاصة به مُضادة للمنظومة المعرفية الغربية المتمركزة حول الذات، كما يرى الأمريكي - أرجنتيني (والتر ميغنولو)، "فالعرب لم يعد محاوراً جيداً لغيره من الشعوب والثقافات"³، فالتمثيلات التي ظهرت منذ نهاية القرن الثامن عشر، ما تزال حاضرة اليوم في الأدب ووسائل الإعلام واتخذت طابع الصّنية كما يرى (إدوارد سعيد) في كتابه (تغطية الإسلام)⁴ ومن كلّ هذا

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 283.

² - المرجع السابق نفسه، ص. 148.

³ - Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p.66.

⁴ - إدوارد سعيد، تغطية الإسلام. ترجمة محمد عتّاني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2005، ص. 108.

يؤكد (أديتيا نيغام) أنّ فترة ما بعد الكولونيالية (الإستعمار) قد إنتهت وعليه " يجب أن تُنجز منظومتنا المعرفيّة بعيداً عن خصوصيّات المعرفة الغربيّة وجوهرها الفكريّ " ¹.

¹ –Mignolo, W. D., & Quijano, A, op. cit, p,68.

الفصل الثّاني

إستراتيجية التّأويل في كتاب "ما بعد الإستشراق"

تمهيد

يُعتبر (حميد دباشي) من بين النّاقدين والباحثين والمفكرين المعاصرين الذين اشتغلوا على الإستشراق وما بعده، متأثراً بما خلفه صديقة (إدوارد سعيد) فيه، ما جعله يُسهب في طروحاته حول الإستشراق ففي كتابه (ما بعد الإستشراق، المعرفة والسّطة في زمن الإرهاب) يستعرض فيها عدّة إشكاليّات جوهرية ترتبط بالإستشراق إذ يهدف (حميد دباشي) من خلال كتابه (ما بعد الإستشراق، المعرفة والسّطة في زمن الإرهاب) لتكملة عمل (إدوارد سعيد) في الإستشراق ومن ثمّ لا يتناول تشخيص الإستشراق مثلما بيّنها (إدوارد سعيد) في كتابه (الإستشراق) بل يسعى (حميد دباشي) لتحديث ملاحظات (إدوارد سعيد) وتفصيل مضامينها بالنّظر إلى الأحداث التي تلت كتاب (الإستشراق) (فحميد دباشي) يسعى لتقديم بيان التّمثيل الذاتى المُستقل بعدما كشف (إدوارد سعيد) السّطة المعرفية للإستشراق وأدواتها والكيفية التي تمّ فيها بناء صورة الشرق المتخيّل عبر مصطلحات ومفاهيم غير حقيقية¹.

إذ حاول (حميد دباشي) عرض لطروحات (إدوارد سعيد) وفق مُعطيات وقراءة جديدة بما يُطابق الواقع فقد تغيّرت العديد من المفاهيم في عصرنا الرّاهن، وبالتالي تأكيد على فاعلية هذه الطّروحات والأفكار. فكتاب (ما بعد الإستشراق ..) الذي ناقش فيه (حميد دباشي) العديد من الأمور التي تخصّ أعلام نظرية ما بعد الكولونيالية (كسبيفاك وإدوارد سعيد...) حيث قام بإعادة قراءة أفكار هؤلاء المفكرين.

1/- المنجز النقديّ لحميد دباشي: (أهمّ أعماله)

(حميد دباشي) باحث وناقد ثقافيّ إيراني أمريكيّ غزير الإنتاج، ولقد ساهمت عوامل عدّة التي شكّلت شخصيته وفكره كالتعددية اللّغوية وحياة المنفى التي أكسبته التجربة وذلك الانفتاح وعياً نقدياً، وكذا مزاملته للمفكر والصّديق (إدوارد سعيد)، فقد أنتجت كلّ العوامل منه مثقفاً أكثر حضوراً بين الثقافات. لقد ساهمت شخصيّة (حميد دباشي) الإزدواجية (المنفى، الوطن) في تشكيل منظوره الفكريّ والإنسانيّ، فهو مثلاً يُنذّر بالمنظور الأمريكيّ للقضايا العربيّة والإسلاميّة وبسياسات الهوية والقومية.

¹ - إدوارد سعيد، المثقّف والسّطة. ترجمة محمّد عناني، رؤية للنشر والتّوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص.36.

كما تكمن أهمية (حميد دباشي) الثقافية والفكرية في تنوع إهتماماته، وتعدد طاقاته التي تتجاوز الأدب المقارن إلى حقول معرفية مختلفة، وإمتد عمله إلى مجموعة واسعة من المجالات، بما في ذلك دراسات ما بعد الإستعمار، والدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الأوسط، والأدب المقارن. يمكن تصنيف عمله إلى توجهات فكرية ومنهجية مختلفة يساهم كل منها في فهم دقيق للثقافة والسياسة المعاصرة.

- مرجعيات (حميد دباشي) الفكرية والمنهجية

لقد شهدت الساحة الفكرية الغربية في القرن العشرين ميلاد زخم هائل من المفاهيم الفلسفية والتيارات الفكرية، وأهم ما عرفته البيئة الغربية في هذه الفترة ظهور الفكر ما بعد الكولونيالي الذي يُمثل طريقة جديدة في التفكير تهدف إلى الرد على هيمنة الإمبريالية الغربية، وإدانة الإستعمار من خلال توظيف وسائل ثقافية وفكرية وسياسية مختلفة. ولقد عمل هذا الفكر على مواجهة الخطاب الغربي المتمركز حول ذات غربية مُتعالية، خاصة ما ارتبط بالخطاب الكولونيالي، ويُعدّ (حميد دباشي) من أبرز النقاد ما بعد الكولونياليين اليوم.

وقد كتب (حميد دباشي) الناقد الثقافي وصاحب وفرة إنتاجية في مجالات عدة، وعلى نطاق واسع في مجموعة واسعة من الموضوعات، بما في ذلك دراسات ما بعد الإستعمار والدراسات الإسلامية، ودراسات الشرق الأوسط، ودراسات الأفلام... ويمكن تصنيف عمله إلى توجهات فكرية ومنهجية مختلفة، لكل منها منظورها ومساهماتها الفريدة.

أ/- المرجعيات الفكرية

- دراسات ما بعد الإستعمار

يقوم حقل ما بعد الكولونيالية (ما بعد الإستعمار) بإعتباره جزءاً من حقل أوسع، هو حقل الدراسات الثقافية، أو النظرية الثقافية على دعامه مفاهيمية تستند إلى فروع فكرية ومعرفية مختلفة مثل التاريخ، والأنثروبولوجيا، والتحليل النفسي، وعلم الاجتماع، والنقد الأدبي¹

¹ - روبنسون دوغلاس، الترجمة والإمبراطورية؛ نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية. ترجمة ثائر علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2009، ص.30.

وقد ظهرت في سياق من الصلة مع الدراسات الثقافية، باعتبارها مجالاً للخوض فيما هو ثقافي في تحديد علاقة الأنا بالآخر ومساءلة التجربة الكولونيالية كحادثة ثقافية بالأساس وبهذا تظهر الدراسات ما بعد الكولونيالية كفرع مهم من فروع الدراسات الثقافية. وتُحاول هذه الدراسات تقديم طرق جديدة لقراءة التراث الرسمي المعتمد، وتفكيكه كما تهتمّ بالعلاقة بين الثقافة والسلطة، وقد عرفت هذه الدراسات تطوراً. وقد فتح كل من (إدوارد سعيد، وهومي بابا وغياتري سبيفاك)، مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية وجعلوها تكتسب طابعاً تأسيسياً، ولكن في المقابل ظهرت أسماء أخرى من المفكرين ما بعد الكولونياليين الذين إنطلقوا من مقولات (إدوارد سعيد) وغيره، وناقشوا قضايا ما بعد الإستعمار مثل: (أشيل مبامبي، وديباش شاكر أبارتي، وحמיד دباشي)، الذي يُعتبر من أبرز المُشتغلين الحاليين في حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية (ما بعد الإستعمار) نظراً لأفكاره الزاهية والمعاصرة، ومن خلال دراساته التي عالج فيها قضايا مُعاصرة.

ويُعتبر (حميد دباشي) من أبرز المُثقفين المُعاصرين المُهتمين بقضايا ما بعد الإستعمار ومن أعلام النظرية ما بعد الكولونيالية في وقتنا الحالي، وصاحب مسيرة هائلة وباع من الأعمال النقدية والفكرية التي تحدّث فيها عن آداب المقاومة، ووسائل التصدي للإستعمار ومواجهة الإمبريالية. ويمكن وصف التوجّه الفكري (لحميد دباشي) بأنّه ما بعد إستعماريّ يعتمد على مجموعة واسعة من التخصّصات، بما في ذلك الأدب والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والعلوم السياسية، في تحليلاته للسياسة والثقافة الإيرانية والشرق أوسطية فهو متأثر بشدّة بنظرية ما بعد الإستعمار، التي تسعى إلى فهم آثار الإستعمار والإمبريالية على الثقافة والسياسة والمُجتمع، ونقد الطّرق التي يستمر بها الإستعمار في تشكيل عالمنا اليوم¹.

يتميّز عمل (حميد دباشي) بالالتزام بالعدالة الاجتماعية ونقد علاقات القوة، بما في ذلك العلاقات بين الغرب وبقية العالم، وكذلك داخل المجتمعات في الشرق الأوسط وخارجه وهو معروف بأسلوبه الحماسي والبليغ في الكتابة وقدرته على التعامل مع مجموعة واسعة من الجماهير، الأكاديمية وغير الأكاديمية.

¹ - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص ص 15- 17.

يُمكن رؤية التّوجّه الفكريّ (لحميد دباشي) لما بعد الإستعمار في تركيزه على الموروثات التاريخيّة والثّقافيّة للإستعمار والإمبرياليّة، وتأثيرها المُستمر على المجتمعات المعاصرة ويستمد عمله من رؤى نظرية ما بعد الإستعمار التي ظهرت في منتصف القرن العشرين كردّة فعل على إستمرار هيمنة القوى الغربيّة على الجنوب العالمي¹، وتتمثّل إحدى الأفكار الرّئيسيّة لنظرية ما بعد الإستعمار في الاعتراف بأنّ المعرفة والثّقافة ليسا محايدتين، ولكنّهما يتشكّلان من خلال علاقات القوة والسّياق التاريخيّ، ويجادل منظّرو ما بعد الإستعمار بأنّ إنتاج المعرفة الغربيّة غالباً ما كان قائماً على وجهة نظر عالميّة مركزيّة أوروبيّة قامت بتهميش أصوات ووجّهات نظر الشّعوب والثّقافات غير الغربيّة. ويعكس عمل (حميد دباشي) هذا المنظور، حيث ينتقد الطّرق التي غالباً ما تُفرض بها نظريات المعرفة الغربيّة والأُطر الثّقافيّة على المُجتمعات غير الغربيّة ممّا أدّى إلى محو الثّقافات والمعارف المحليّة، كما أنّ منظور (حميد دباشي) لما بعد الإستعمار " يُوجّه نقده للهياكل السّياسيّة والاقتصاديّة التي ظهرت في أعقاب الإستعمار، إنّه ينتقد إستمرار هيمنة القوى الغربيّة على الجنوب العالميّ فضلاً عن الطّرق التي تعاونت بها النّخب المحليّة في كثير من الأحيان مع القوى الغربيّة للحفاظ على سُلطتها وإمّتها²، يتميّز عمل (حميد دباشي) بالالتزام بالعدالة الاجتماعيّة والدّعوة إلى نظام عالميّ أكثر إنصافاً يعترف بتنوّع وثراء الثّقافات والمعارف غير الغربيّة.

فدراسات ما بعد الإستعمار كانت أحد التّوجّهات الفكرية الرّئيسيّة (لحميد دباشي) وهو مجال يستكشف التّراث الثّقافي والسّياسي للإستعمار والإمبرياليّة. في كتابه (ما بعد الإستشراق: المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب)، يُقدّم (حميد دباشي) تحليلاً نقدياً لمفهوم الإستشراق وتأثيره على الثّقافة والسّياسة المعاصرة. ويرى بأنّ الإستشراق " ليس مجرد خطاب يخلق ويعزّز علاقات القوة، ولكنّه طريقة لمعرفة وفهم العالم المُتجذّر في الإستعمار والإمبرياليّة "³، ويمتدّ نقد (حميد دباشي) للإستشراق إلى الطّرق التي أُستُخدم بها لتبرير

1 - المرجع السّابق نفسه، ص. 19.

2 - المرجع السّابق نفسه، ص. 344.

3 - المرجع السّابق نفسه، ص. 345.

التدخل الغربي في الشرق الأوسط، بدلاً من ذلك، يدعو (حميد دباشي) إلى نهج "ما بعد الاستشراق" الذي يعترف بتنوع الثقافات غير الغربية وطرق المعرفة.

- الدراسات الإسلامية

لقد مثل الإسلام بالنسبة للغرب موضوعاً لدراسة الشرق ويعتبر الغرب أن انتشار وتوسع الإسلام يُشكل خطراً على حضارته، فكان لابد من مواجهته بطرق وأساليب مختلفة بدأت أول الأمر في الجانب الفضولي المعرفي، ثم تحولت إلى نوع من القوة والسيطرة العسكرية والسياسية ولهذا كان " الجانب السياسي والإيديولوجي هو السائد في الدراسات الإستشراقية"¹. ويظهر توظيف هذا الجانب في مواجهة الإسلام والوقوف في وجه الإمتداد الثقافي والحضاري له، فقد كان الإسلام يُسيطر على الشرق والغرب في أوج مجده السياسي والعسكري ثم انتقل مركز القوة إلى الغرب. والدراسات التي يقوم بها الغرب عن الإسلام وما ينشرونه في مختلف العلوم والتخصصات المعرفية يُظهر العداء اتجاه الإسلام ورسم صورة مُخيفة عنه، وتسويق فكرة خاطئة حوله، وقد كانت الوسيلة التي إتخذها الغرب هو فصل الدين عن الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي في العالم الشرقي، وبعد بزوغ الإستشراق المضاد لكشف الأنساق المضمرة في خطابات الإستشراقيين اتجاه الشرق والإسلام، فقد تطرق (إدوارد سعيد) للحديث عن الإسلام وإظهار حقيقة رؤية الغرب له، كما ظهرت دراسات إسلامية أخرى لمفكرين ما بعد الكولونيالية منهم (حميد دباشي).

فكان التوجه الفكري الرئيسي الآخر في عمل (حميد دباشي) هو الدراسات الإسلامية التي تستكشف تاريخ الإسلام وعلمه وثقافته، في كتابه (لاهوت السخط: الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران)، يقدم (حميد دباشي) تحليلاً معمقاً للأسس الفكرية والأيديولوجية للثورة الإسلامية في إيران. ويرى بأن " الثورة لم تكن مجرد ردّة فعل للإمبريالية الغربية بل كانت مدفوعة أيضاً بالرغبة في إقامة نظام إسلامي جديد خالٍ من فساد النظام القديم وقمعه"²، ويركّز عمل (حميد دباشي) في الدراسات الإسلامية على العلاقة المُعقدة بين

¹ - مفيد الزبدي، الإستشراق والمستشرقون؛ نحو رؤية منهجية. مجلة شؤون عربية؛ عدد 147، 2011، ص.110.

² -Hamid Dabashi, *Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran*. First Edition, French, 2005, p.401

الإسلام والحادثة ففي كتابه (لاهوت السّخط، الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران) يفحص (حميد دباشي) الأسس الفكرية والأيديولوجية للثورة الإيرانية ويرى بأنها " كانت مدفوعة بالرغبة في رفض الحادثة على النمط الغربي واستعادة الأصالة الإسلامية ¹ ، وفي كتابه (الإسلام والعلمانية والديمقراطية الليبرالية، نحو نظرية ديمقراطية للمجتمعات الإسلامية) يستكشف (حميد دباشي) إمكانية وجود نظرية ديمقراطية ترتكز على الفكر السياسي الإسلامي.

فقد كتب (حميد دباشي) على نطاق واسع في الدراسات الإسلامية، مع التركيز على الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتاريخ الفكري، وهو معروف بنهجه متعدّد التخصصات بالاعتماد على مجموعة واسعة من المصادر من كلّ من التقاليد الفكرية الإسلامية والغربية ومن أعماله الرئيسية في الدراسات الإسلامية (السّطة في الإسلام، من قيام محمّد إلى قيام الأمويين 1989م)، (لاهوت السّخط، الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران 1993م)، (لاهوت التعددية، ابن العربي والرحمة الإلهية 1994م)، (إيران شعب قاطع 2007م) ويتضمّن مناقشة دور الدين في المجتمع الإيراني، (لاهوت التحرير الإسلامي مقاومة الإمبراطورية 2008م)، (عالم الإنسانية الأدبية الفارسية 2012م) ويتضمّن مناقشة لدور الصوفيّة في الأدب الفارسي، (هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟ 2015م) ويتضمّن مناقشة تاريخ الفكر الإسلامي وعلاقته بالفكر الغربي، (الشاهنامة، الملحمة الفارسية أدب عالمي 2018م) ويتضمّن مناقشة دور الإسلام في الأدب الفارسي. ويتميّز عمل (حميد دباشي) في الدراسات الإسلامية بالفهم العميق لتعقيدات التاريخ الفكري الإسلامي، فضلاً عن الالتزام بالعدالة الاجتماعية، ونقد علاقات القوة داخل المجتمعات الإسلامية، وهو معروف بقدرته على سدّ الفجوة بين التقاليد الفكرية الإسلامية والغربية وتقديم نظرة ثاقبة لكليهما.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 403.

- دراسات الشرق الأوسط

عناية الغرب بدراسة العالم ومعرفته قديمة جداً، وقد تمثلت في المدارس والمؤسسات الإستشراقية، ومراكز البحوث المختلفة، ولكن الغرب تخلى عن اسم الإستشراق، وإن لم يتخلّ عن المضمون، " فظهرت دراسات الشرق الأوسط أو الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق ولقد نالت هذه الدراسات عناية الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد انحسار الإمبراطورية البريطانية وإستعداد أمريكا لتحلّ محلّها في مناطق نفوذها ¹. فصدرت عدّة مراسيم حكومية أمريكية تدعم دراسات الشرق الأوسط أو دراسات الأقاليم، وازدادت حاجة الولايات المتحدة الأمريكية لهذه الدراسات بعد حرب الخليج (إحتلال العراق للكويت عام 1990م)، فزاد الدعم لهذه الدراسات ومضت في تمويلها. وقد إلّتحق بهذه الدراسات بعض الأساتذة العرب والمسلمين وحاولوا التأثير في هذه الدراسات من الدّاخل بأن تُعرض قضايا المسلمين بطريقة حيادية ونزيهة، وأن لا يستمر النهج الإستشراقي القائم على تشويه الإسلام والمسلمين، لكنّ بعد ظهور (إدوارد سعيد) بكتابه الشّهير (الإستشراق عام 1978م) ونشاطاته المتميّزة في مجال القضية الفلسطينية، أحدث بعض التّغيير في هذه الدراسات وقد إنتقل هذا التأثير إلى رابطة دراسات الشرق الأوسط، فبدأت تظهر أصوات تتحدّث عن قضايا الشرق الأوسط مُدافعة عن حقوقها.

وبعدها جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م ليظهر تغيير كبير في دراسات الشرق الأوسط وذلك إستمرار على إتهام الإسلام بالإرهاب، وظهرت نشاطات (حميد دباشي) الذي قدّم أيضاً مُساهمات كبيرة في مجال دراسات الشرق الأوسط، والتي تركّز على تاريخ وسياسة وثقافة الشرق الأوسط، ويقدم (حميد دباشي) في كتابه (إيران، شعب قاطع)، تحليلاً شاملاً لتاريخ إيران منذ العصور القديمة وحتىّ يومنا هذا ويرى بأنّ " تاريخ إيران هو تاريخ المقاومة والصّمود، حيث كافح الشعب الإيرانيّ ضدّ الغزاة الأجانب والأنظمة الإستبدادية والعقوبات الإقتصادية ² ". وقدّم (حميد دباشي) أيضاً مُساهمات كبيرة في دراسات الشرق

¹ - عبد الفتّاح نعوم، مساهمة الإستشراق الأنغلو- أمريكيّ في صعود دراسة المناطق. مجلّة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السيّاسات، عدد9، مجلّد3، 2014، ص.10.

² - Hamid Dabashi, Iran: A People Interrupted. op. cit, p. 203.

الأوسط، مع التركيز على السياسة والثقافة وتاريخ المنطقة، وكتب على نطاق واسع في مجموعة من الموضوعات¹، بما في ذلك الربيع العربي والسياسة الإيرانية والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ومن بعض أعماله الرئيسية في دراسات الشرق الأوسط، (لاهوت السخط الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران 1993م)، (إيران، شعب توقف 2007م) (ما بعد الإستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب 2008م)، (الربيع العربي، نهاية ما بعد الكولونيالية 2012م)، (عالم الإنسانية الأدبية الفارسية 2012م)، (هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟ 2015م) (إيران بلا حدود، نحو نقد لأمة ما بعد الإستعمار 2016م) (الربيع العربي، سياسة التحوّل في شمال إفريقيا والشرق الأوسط 2018م)، ويتميز عمل (حميد دباشي) في دراسات الشرق الأوسط بنهج نقدي متعدّد التخصصات، يعتمد على مجموعة من التخصصات، بما في ذلك العلوم السياسية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية، وهو معروف بتحليله الثاقب للديناميكيات السياسية والثقافية المعقّدة للشرق الأوسط فضلاً عن نقده لإنتاج المعرفة الغربية ودورها في إدامة علاقات القوة الإستعمارية والإمبريالية في المنطقة. ويستند عمل (حميد دباشي) الالتزام بالعدالة الاجتماعية، والفهم العميق لتاريخ وثقافات الشرق الأوسط.

- دراسات الأفلام

أخيراً، قدّم (حميد دباشي) أيضاً مساهمات مهمة في مجال دراسات الأفلام، الذي يستكشف فنّ السينما وتاريخها وثقافتها في كتابه (عن قرب، السينما الإيرانية، الماضي والحاضر والمستقبل)، يقدّم (حميد دباشي) لمحة شاملة عن تاريخ السينما الإيرانية وتطوّرها، ويرى بأنّ " السينما الإيرانية هي إنعكاس للتاريخ الاجتماعي والسياسي المعقّد لإيران، وأنها لعبت دوراً حاسماً في تشكيل الهوية الوطنية والتعبير الثقافي"².

كتب (حميد دباشي) كثيراً عن السينما الإيرانية والشرق أوسطية، ويُعتبر مرجعاً رائداً في هذا الموضوع كتب العديد من الكتب، والعديد من المقالات حول هذا الموضوع، كما قام بتنسيق مهرجانات سينمائية وتحدّث في الأحداث السينمائية الدولية، ومن بعض أعماله

¹ - حميد دباشي، الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص. 267.

² - Hamid Dabashi, *Close Up: Iranian Cinema, Past, Present, and Future*. Verso 2001, p.51.

الرئيسية في السينما (عن قرب، السينما الإيرانية في الماضي والحاضر والمستقبل 2001م) (سادة وروائع السينما الإيرانية 2007م) ، (السينما الإيرانية مقدمة قصيرة جداً 2012م) الربيع العربي، نهاية ما بعد الاستعمار 2012م)، ويتضمن فصلاً عن دور السينما في الربيع العربي ، (الحياة والفن، السينما الإيرانية الجديدة 2013م)، تضمنت مجموعة مقالات عن السينما الإيرانية، (لاهوت السخط، الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران 1993م)، يتضمن مناقشة دور السينما في الثورة الإسلامية، بالإضافة إلى أعماله المكتوبة المتعددة في مجال السينما، وأشرف (حميد دباشي) أيضاً على مهرجانات سينمائية، بما في ذلك (مهرجان الفيلم الإيراني في مركز لينكولن) في مدينة (نيويورك) في عام 2008م كما تحدث في العديد من الأحداث السينمائية الدولية. وقام بتحليل دقيق للأعمال السينمائية الإيرانية والشرق أوسطية، كما يتميز بقدرته على وضع السينما في سياقها الاجتماعي والسياسي والثقافي الأوسع. فقد ذاع صيته كمستشار وناصح في كل الأعمال السينمائية الحديثة التي تناولت الحضارة الإسلامية سواء القديمة أو الحديثة ويكفي أن نسوق مثال واحد على ذلك حتى يتسنى للقارئ معرفة مدى ثقل هذا المفكر حيث استعان به المخرج (ريدلي سكوت) كمستشار ومصحح تاريخي لفيلمه Kingdom Of Heaven (ملكوت السماء)، فيلم أمريكي أنتج عام 2005م، الذي تناول فيه الحروب الصليبية وإسترداد (صلاح الدين) لمدينة القدس من يد الصليبيين *.

ب/- المرجعيات المنهجية

يمكن أيضاً تصنيف عمل (حميد دباشي) إلى توجّهات منهجية مختلفة، لكل منها نهجها ومساهماتها الفريدة.

* - تدور أحداث الفيلم خلال فترة الحروب الصليبية المسيحية في القرن الثاني عشر الميلادي، وهي قصة (باليان) من قرية فرنسية يرحل إلى القدس للمشاركة في المعارك التي دارت بين المسيحيين والمسلمين، في محاولات إسترداد المسلمين للمدينة بقيادة (صلاح الدين الأيوبي) التي احتلها الصليبيين.

- الأدب المقارن

تحتلّ الدّراسات الأدبيّة المقارنة وكلّ ما يتعلّق بها مكانة هامّة في الدّراسات النّقديّة المعاصرة، ولا تزال أهمّيّتها تزداد في عالم اليوم بعد البحوث الفلسفيّة والمعرفيّة المختلفة التي بيّنت أهميّة النّقافة وعلاقتها الوثيقة بكلّ مناحي الحياة من سياسيّة وإجتماعيّة وإعلاميّة وإقتصاديّة، وكذلك بعد ظهور النّزوع نحو كسر التّخصّصية في مُختلف الدّراسات بما فتح المجال أمام ظهور شراكة معرفيّة بينها، ولم يكن الأدب المقارن بمنأى عن كلّ تلك التّحوّلات، بالرّغم من طبيعته التي كرستها بحوث الأجيال الأولى، فقد كان مفهوم الأدب المقارن يوحي منذ البداية أنّه سيساهم في التّقريب بين الشّعوب وخدمة النّقافة الإنسانيّة دون خلفيّات إثنيّة أو جغرافيّة " فلقد كان دستور الأدب المقارن وأهدافه المبكرة، إكتساب منظور يتجاوز أمة المرء، ورؤية نوع من الكلية بدلاً من الرّقعة الدّفاعيّة الضّئيلة التي تقدّمها ثقافة المرء الخاصّة ¹ . ليتّضح أنّ ذلك كان هدفاً لم يتسنّ له التّحقّق كاملاً، لأنّ الوجهة التي إتخذتها الدّراسات المقارنة فيما بعد بيّنت إبتعادها عن أهدافها، فقد كانت دراساته مرتبطة بالحركات الإستعماريّة في البلدان غير الأوروبيّة، لذلك فإنّ " دراسة الأدب المقارن قد نشأت في مرحلة الإمبرياليّة الأوروبيّة العاليّة وأنّها مُرتبطة بها ارتباطاً لا مرأ فيه ² . وبعد اتّساع مجال الأدب المقارن وانفتاح المتخصّصين فيه على مجالات معرفيّة عديدة كدراسة علاقة الأنا بالآخر ودراسات الهوية، من خلال هذا المنظور يمكن النّظر إلى الأدب المقارن كإحدى التّخصّصات التي أنتجت ما صار يُعرف بالنّقد النّقافيّ وأسهمت في تكوّن مقولاته ووضوح قضاياه.

وقد كان الأدب المقارن أحد التّوجّهات المنهجيّة الرّئيسيّة (لحميد دبّاشي)، والذي يتضمّن دراسة الأدب عبر مختلف النّقافات واللّغات. يقدّم (حميد دبّاشي) في كتابه (عالم الإنسانيّة الأدبيّة الفارسيّة) تحليلاً شاملاً لتاريخ وتطوّر الأدب الفارسيّ منذ العصور القديمة وحتى يومنا هذا.

¹ - فتحي التّريكيّ، عبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة. دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003، ص.55.

² - إدوارد سعيد، النّقافة والإمبرياليّة. ترجمة كمال أبو أديب، دار الآداب، ط3، بيروت، 2004، ص.111.

ويرى بأنّ " الأدب الفارسيّ هو إنعكاس للتّراث الثقافيّ والفكريّ الغني لإيران"¹. وقدّم (حميد دباشي) أيضاً مساهمات كبيرة في مجال الأدب المقارن، مع التّركيز على الأدب الفارسيّ والشرق الأوسط، بالاعتماد على النظريّة الأدبيّة والفلسفة والدراسات الثقافيّة لتقديم قراءات ثاقبة ودقيقة للنّصوص الأدبية، ومن بين أعماله الرئيسيّة في الأدب المقارن (لاهوت السّخط، الأساس الأيديولوجيّ للثورة الإسلاميّة في إيران 1993م)، يتضمّن مناقشة العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا في إيران الحديثة (لاهوت التعدّديّة، ابن العربي والرحمة الإلهيّة 1994م)، يتضمّن مناقشة دور الصّوفيّة في الأدب الفارسيّ، (عن قرب، السّينما الإيرانيّة في الماضي والحاضر والمستقبل 2001م)، يتضمّن مناقشة للعلاقة بين الأدب والسّينما في إيران، (سادة وروائع السّينما 2007م)، يتضمّن مناقشة العلاقة بين الأدب والسّينما في إيران، (عالم الإنسانيّة الأدبيّة الفارسيّة 2012م) يتضمّن مناقشة للعلاقة بين الأدب الفارسيّ والإنسانيّة (الشّاهنامة، الملحمة الفارسيّة كأدب عالميّ 2018م) يتضمّن مناقشة دور الشّاهنامة في تطوير التّقاليد الأدبية الفارسيّة .

يتميّز عمل (حميد دباشي) في الأدب المقارن بقدرته على وضع النّصوص الأدبية ضمن سياقها الثقافيّ والتّاريخيّ، إضافة إلى قدرته على ربط الروابط بين الأدب والفلسفة والسّياسة. إضافة إلى فهمه العميق للأدب الفارسيّ والشرق الأوسط وتقديم قراءات جديدة للأعمال.

- النّقد الثقافيّ

يعدّ النّقد الثقافيّ " نشاطاً معرفيّاً منفتحاً على جملة من التّخصّصات المجاورة للأدب فهو مجال نقديّ يستعين بأدوات إجرائيّة مُتوّعة المصادر، وما يُميّز هذا النّقد هو سعيه دائماً إلى تعديل الأدوات النّقديّة تعديلاً ثقافيّاً"²، وليحقّق ذلك وجب له أن يكون منفتحاً على المجالات المعرفيّة والنّقديّة المجاورة. فالنّقد الثقافيّ هو نقد تجاوز الجماليّة إلى نقد إهتم بالأنساق الثقافيّة خلف البناء اللّغويّ ويعمل على قراءتها خلف الخطاب بكافّة أنواعه، ممّا

¹ -Hamid Dabashi, *Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran*. op. cit, p.32.

² - محسن جاسم الموسوي، النظريّة والنّقد الثقافيّ. المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط5، بيروت، لبنان، 2005، ص.12.

أدّى إلى مساعدة المجتمع للتطوّر، فالنقد الثقافي هو نقد ألسنيّ ينتمي لمرحلة ما بعد الحداثة.

وقد كانت (حميد دباشي) إسهامات في النقد الثقافي، وقد كان التوجّه المنهجيّ المهمّ الآخر في عمل (حميد دباشي)، والذي يتضمّن تحليل النصوص والممارسات الثقافية في سياقها الاجتماعيّ والسياسيّ، ففي كتابه (الربيع العربيّ، نهاية ما بعد الكولونيالية)، يقدّم (حميد دباشي) تحليلاً نقدياً للربيع العربيّ وتأثيره على السياسة والثقافة المعاصرة. فقد كانت (حميد دباشي) ممارسات ثقافيّة وإنتاج ثقافيّ، والطرق التي تُشكّل بها الثقافة، وتتّشكّل من خلال السياقات الاجتماعيّة والسياسيّة والتاريخيّة. ويتميّز عمله في هذا المجال بإنخراطه في مجموعة من الممارسات الثقافيّة، من الأدب والسينما إلى الثقافة الشعبيّة والفنّ، ومن بعض أعماله الرئيسيّة عن النقد الثقافيّ، (لاهوت السخط، الأساس الأيديولوجيّ للثورة الإسلاميّة في إيران 1993م)، يتضمّن مناقشة العلاقة بين الثقافة والسياسة في إيران، (عن قرب السينما الإيرانيّة في الماضي والحاضر والمستقبل 2001)، يتضمّن مناقشة دور السينما في تشكيل الثقافة والهويّة الإيرانيّة، (إنطلاق ثورة، فنّ الإقناع في جمهوريّة إيران الإسلاميّة 2000م)، ويتضمّن مناقشة دور الفنّ والدعاية في الثورة الإيرانيّة، (إيران بلا حدود، نحو نقد لأمة ما بعد الإستعمار 2016م)، ويتضمّن مناقشة العلاقة بين الثقافة القوميّة في إيران والشرق الأوسط، (الربيع العربيّ، سياسة التحوّل في شمال إفريقيا والشرق الأوسط 2018م)، ويتضمّن مناقشة دور الثقافة في انتفاضات الربيع العربيّ.

ويتميّز عمل (حميد دباشي) في النقد الثقافيّ " بمقارنته النقدية للإنتاج الثقافيّ وقدرته على وضع الممارسات الثقافيّة ضمن سياقات سياسيّة واجتماعيّة أوسع"¹، ويُعرف عنه إنخراطه في مجموعة واسعة من الممارسات الثقافيّة وما يقدّمه من تحليلات جديدة ومعاصرة للنصوص والممارسات الثقافيّة.

¹ -Hamid Dabashi, *Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran*. op. cit, p.32.

2/- معلومات أساسية عن كتاب " ما بعد الإستشراق " لحميد دباشي

أ/- كتاب " ما بعد الإستشراق "

ما بعد الإستشراق هو سجل ثابت لانعكاسات (حميد دباشي) على مدى سنوات عديدة حول مسألة المعرفة والسلطة، من الذي يمكنه تمثيل من وبأي سلطة؟ يبدأ عمل (حميد دباشي) من حيث توقف الإستشراق عند (إدوارد سعيد)، تتبّع (إدوارد سعيد) أصل قوّة التمثيل والوكالة المعيارية التي تنطوي عليها إلى الغطرسة الإستعمارية التي حملت عصابة متشددة من التجار والضباط العسكريين والمبشرين المسيحيين والمستشرقين الأوروبيين حول العالم مكنتهم هذه الغطرسة من كتابة وتمثيل الناس الذين سعوا لحكمهم.

كتاب (حميد دباشي) ما بعد الإستشراق ليس نقداً للتمثيل الإستعماري بقدر ما هو نقد لأخلاق وأنماط مقاومة ومقاومته، إنه لا يشكك في أهمية الإستشراق وإهتمامه الرئيسي بأعمال التمثيل الإستعمارية، لكنه يُقدّم زاوية مختلفة تدافع عن أولوية مسألة الفاعلية ما بعد الإستعمار، ويستخدم (حميد دباشي) الولايات المتحدة الأمريكية كمثال لدولة بدأت أعمال تمثيل متشددة في العراق وأفغانستان، إنه يحاول كشف وفحص إدعاء الولايات المتحدة الأمريكية المتجذّر بعمق حول الفاعلية المعيارية والأخلاقية، لاسيما في ضوء الواقع السياسي العالمي لما بعد 11 سبتمبر 2001م.

فما بعد الإستشراق هو كتاب يُواجه التقليد الغربي للإستشراق ويقترح إستراتيجية تأويلية جديدة لفهم الشرق الأوسط، وهو يستند إلى أعمال العلماء مثل (إدوارد سعيد)، الذي سبق أن انتقد الإستشراق، ويقترح نهجاً أكثر دقة وحساسية ثقافياً لدراسة الشرق الأوسط.

ويرى (حميد دباشي) بأن التقليد الغربي للإستشراق، الذي يعرفه على أنه " نظام التمثيل والمعرفة الذي أوجد التعارض الثنائي بين الشرق والغرب تم إستخدامه تاريخياً كأداة للإمبريالية والهيمنة الثقافية"¹، ووفقاً (لحميد دباشي)، نظر العلماء الغربيون إلى الشرق الأوسط من خلال عدسة التفوق الثقافي الغربي وفشلوا في فهم المنطقة وفقاً لشروطها الخاصة.

¹ - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص 199.

ويمثّل هذا الكتاب خلاصة فكر (حميد دباشي) فهو عبارة عن مجموعة من المقالات تعكس رؤيته التي يوضّحها في مقدّمة عمله قائلاً: " غايتي الأبعد في هذا الكتاب هي توضيح المقدّمة النظريّة لقوّة التمثيل الذاتي Agency المتمرّد في التابع Subaltem المستعمر والخاضع للسيطرة"¹. وهذا الكتاب الذي يعتبر من المشروع الفكريّ (لحميد دباشي)، الذي يقتفي فيه أثر السابقين (أعلام نظريّة ما بعد الكولونياليّة) مُعلنًا في أكثر من موضع إنتماءه إلى هذه السّلالة المتمرّدة من المؤلّفين وهذا لا يعني أنّه يتّبع خطاهم (فلدباشي) أسلوب خاصّ في كتاباته، وإستراتيجيّة معالجة الأمور واجتياز المعوقات التي تواجه طريقه، فنجد في كتابه لا يبخل على (سعيد وسبيفاك) بالنّقد فيدوّن مواطن اختلافاته مع طرائقهم في التّفكير بوضوح ومن دون موارد، إضافة إلى إشارات بأفكارهم.

الكتاب الذي بدّاه (دباشي) بإهداءٍ أنيق قائلاً: " إلى ذكرى (إدوارد سعيد)، الرّميل العزيز الصّديق الغائب والرّفيق الدّائم"². هو عبارة عن خلاصة لتأمّلات ودراسات (دباشي) لسنوات حول سؤال التّمثيل أو ما سمّاه (سلطة التّمثيل المُدعاة)³. فهو يُعرّي ويُفكّك المفاعيل التي يتمّ عبرها إنتاج عمليّات التّدخل السّياسيّ والعسكريّ للولايات المتّحدة الأمريكيّة فهي متورّطة في عمليّة التّمثيل في ساحات أفغانستان والعراق وفلسطين... وهو ما يسمّيه (دباشي) بالزّعم المُتأصّل والمتجذّر للعقل الإمبرياليّ. فالشّرق مازال ممثلاً بالإنابة ويدعو إلى إقرار تحديث جديد لرؤى (سعيد). (فدباشي) غايته إيجاد وسائل جديدة لمقاومة قوّة التّمثيل هذه، وكيف يمكن أن يتمّ ذلك؟، وبأيّ مصطلحات خاصّة يمكن مقاومة هذه الرّغبة في السّيطرة ببناء نموذج صلب من قوّة التّمثيل الذاتي عبر عدّة إستراتيجيّات ويمرّ ذلك عبر نقد أنسنيّة (سعيد) ودحض مقولة (سبيفاك) باستحالة التّمثيل الذاتي للتّابع وتحديث إستراتيجيّات جديدة التي يطلق عليها مُسمّى (تغيير المحاور)، وهي نمط في إنتاج المعرفة يُوجّه خطابه للقوى المُهيمنة التي تكتم صوت التّابع، ليوجّهه للبقية المكتومة الصّوت من العالم، لتدرك بعدها

¹ - حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب. ص.16.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.5.

³ - المرجع السّابق نفسه، ص.15.

قدرتها على الكلام/ التمثيل الذاتي ليصل صدا كلماتها إلى من ظنّ أنّه أقنعها بعدم قدرتها مطلقاً على الكلام، لينهي خرافة التمثيل، والتحدّث بالنيابة إلى الأبد.

(ما بعد الإستشراق، والمعرفة والسّلاطة في زمن الإرهاب) حيث ينتقد الكتاب مفهوم الإستشراق، الذي قدّمه (إدوارد سعيد)، والذي يرى بأنّ " الغرب قد خلق صورة مشوّهة وغريبة للشرق لتبرير الإستعمار والإمبريالية"¹. ويرى (دباشي) بأنّ الإستشراق لم يعد ذا صلة بالمناخ السّياسي الحالي، حيث أصبح الشرق قوّة عالميّة كبرى ولم يعد متلقياً سلبياً للتأثير الغربيّ، ويقترح (دباشي) مفهوم (ما بعد الاستشراق)، والذي يعرفه بأنّه " فهم جديد للعلاقة بين الشرق والغرب يأخذ في الاعتبار التغيّرات في ديناميكيات القوّة والتبادل الثقافي"². ويبحث الكتاب أيضاً في تأثير الحرب على الإرهاب وظهور الإسلاموفوبيا على تصوّر الشرق في الغرب. كما يرى (دباشي) بأنّ " خوف الغرب وشكّه من الإسلام والمسلمين متجذّر في تاريخ طويل من الصّور النمطية الإستشراقية والمفاهيم الخاطئة بشكل عام"³ (ما بعد الاستشراق) هو نقد للمنظور الغربيّ للشرق ودعوة لفهم أكثر دقّة وتعقيداً للعلاقة بين المنطقتين.

ب/- القضايا المطروحة في الكتاب

ب.1/- ما بعد الإستشراق و التمثيل الذاتي

في كتابه (ما بعد الإستشراق) يسعى (دباشي) لمواصلة عمل (إدوارد سعيد) في الإستشراق ، من منظور جديد للإستشراق ليس مثلما وضّحها (إدوارد) في كتابه الإستشراق حيث يسعى (دباشي) لتحديث رؤى (إدوارد سعيد) و تفصيل مضامينها لأنّ العالم تغيّر وظهرت أحداث تلت كتاب الإستشراق، وبعدما كشف (إدوارد سعيد) السّلاطة المعرفيّة للإستشراق وآليّاتها وأدواتها و الطّريقة التي تمّ فيها بناء صورة الشرق المتخيّل عبر مصطلحات و مفاهيم لا علاقة لها بالواقع، يهدف (دباشي) لتقديم بيان التمثيل الذاتي

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 169.

² - المرجع السابق نفسه، ص 195- 196.

³ - المرجع السابق نفسه، ص 125- 126.

المستقل حيث يحقّق في سلطة التمثيل المعيارية التي تفرض نفسها كوكيل شرعيّ ورسميّ بالتكلّم بالإنابة عن الآخر .

ويكمل ما بدأه (إدوارد سعيد) من تفكيك وكشف أبنية الآلة الإستعمارية والإمبريالية وذلك بتقنيّ أثر شروط السيطرة والتمثيل بالإنابة بداية من الحقبة الكولونيالية إلى ما بعدها ويُحصي (دباشي) تلك المحاولات الممتدة للسيطرة في ظلّ نظام عالميّ جديد يستخدم فيه أدوات قديمة بلغة جديدة، فمع الهجمة الأمريكية فيما يعرف بالحرب على الإرهاب تحت الغطاء الإمبرياليّ، يدعو (دباشي) إلى نهاية عصر ما بعد الأيديولوجيّ و إنتهاء السيطرة المهيمنة عبر أنساق معرفيّة بتضاريس هائلة من الخيال كما يقول (دباشي)، " رسم الغرب صورة جامدة عن العالم الشرقيّ في مخيلته " ¹ ، وكما يُبيّن غايته من الكتاب بالقول " غايته هي توضيح المقدّمة النظرية لقوّة التمثيل الذاتيّ Agency المتمرد Subaltern إزاء الأزمة المفترضة للمُستلب " ² .

ويهدف (دباشي) إلى إكمال المحاولات السابقة ضمن نفس النطاق، وهو الأمر الذي شغل العديد من مفكّري المستعمرات السابقة حول كيفية تكوين رؤية مُستقلة إزاء الهيمنة المعرفية والإمبريالية وهو ما يُعرف بإسم تيار ما بعد الكولونيالية، وهو خطاب نقديّ يميل إلى تفكيك الخطاب الإستعماري، مؤسساً لنظرية في الدّراسات النّقافيّة. ويندرج كتاب (دباشي) ضمن حقل خطاب ما بعد الإستعمار الذي يسعى إلى تفكيك الرواية المهيمنة من خلال مدارس مختلفة ، التي تُعنى بتحليل علاقات القوّة، مثل الماركسيّة، النسويّة، وما بعد البنيويّة ، وما بعد الحداثة. ومن خلال إستخدامات الأدب و الفنون و السينما، و كلّ أشكال فنون التّعبير الأخرى. وفي كتابه يُظهر (دباشي)، الإستراتيجيّات و المناهج الخاصّة بالردّ المضاد لكيفية أن يكون للتّابع صوت مقاوم، وذلك من خلال إنتاج معرفة مُضادة في زمن الإرهاب والحرب المُعمّمة، ويدعو إلى أن ترتقي المقاومة إلى مستوى مُوازي يظهر نمط من التمثيل الذاتيّ المُستقل من دون أن يكون أسيراً للسطوة والهيمنة المفترضة عليه .

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.15.

² - المرجع السابق نفسه، ص.16.

ب.2- إستعادة صوت المُهمّش

يعرض (دباشي) في هذا السياق، أهمية التمثيل الذاتي المُستقل، ضمن سياق خطاب المقاومة لإسماع صوت المُهمّش ، وإنطلق في دعوته هذه من السؤال الذي أثارته (سبيفاك) (هل بمقدور التابع أن يتكلّم ؟)، معتبراً طرح (سبيفاك) يتحدّى الصّياغة الإمبريالية لكنّه يسقط بصورة أخرى في فخّ الإمبريالية ، ويقول " لا أرى التّوجه في تحدياتنا نحو مُواجهة ساخنة مع أوروبا صائباً بل من الأفضل أن نتجنب ذلك و يرى أنّ الطّريقة الوحيدة و المثلى لمقاومة السّيطرة المعيارية لهذه الهيمنة المُسيطرة و تذليلها هي في تهيئة منابر الحوارات الثقافيّة العابرة للحدود وانتشالها من حظيرة المراكز المزعومة للقوّة الكونيّة " ¹، و يرى (دباشي) ضرورة العمل بشكل فردي من زوايا مختلفة بإستهداف مراكز الفكر الأوروبيّ مثل (هيغل) في قراءته للتّاريخ و(دريدا) أو الحداثة كما يعرض (دباشي)، كلّها ضمن إطار نقد المركزيّة الأوروبيّة، للحصول على صوت للتّابع مسموع من خلال تفكيك الخطاب المركزيّ المُهيمن و السّطوة الإمبريالية .

ب.3- تأملات في مسيرة التّحدي

ويرى (دباشي) في غياب التّمثيل الذاتي الفاعل لا يتبقى أمام التابع من لغة يمكن له أن يتحدّث من خلالها، ويُناقش بها، إلّا عبر العنف، و يدعو (دباشي) إلى إعادة النّظر في المقاومة من خلال الإقضاء بسيرة نشطاء المقاومة ضمن تيّار الما بعد كولونياليّ، وذلك لإعطاء صورة مختلفة عن التابع، و يُقدّم (إدوارد سعيد) ضمن الثّائرين بما قدمه من أعمال في عالم الفكر عبر نقل القضية الفلسطينيّة إلى إطار عالميّ، فضلاً عن أعماله الأخرى التي ساهمت في فضح الأقنعة المُهيمنة، كما سعي (دباشي) إلى ربط كلّ من (غيفارا ومالكوم أكس) وفرانز فانون وعلي شريعتي) الذين تمكّنوا من تجاوز حدودهم الخاصّة ليصلوا إلى إكساب مفهوم عالميّ للتحرّر، وينظر إليهم (دباشي) بأنّهم " تجاوزوا وتخطّوا القيود المنهجية والقدسية لقيودهم الكولونيالية، من خلال ابتكار لغة جديدة ومفردات عالميّة للكفاح ليس فقط من شدّة صلابتهم بل لأنّهم قدّموا نموذجاً يُقتدى به في كيفية بيان سُبُل الانفكاك

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص. 210.

من القيود المجتمعية¹. ويوضح (دباشي) كيف أنّ هؤلاء الأربعة أسهموا في تشكيل وعي جديد خارج نطاق الدائرة المرسومة، من قبل الآلة الإمبريالية عبر الطرق المختلفة.

ب.4- نحو نظرة جديدة في المقاومة

ويسعى (دباشي) إلى ترسيخ معرفة متماسكة للتابع، بهدف الإستقلال الذاتي له لتمكينه من الرد المضاد، و تغيير المفاهيم الموجودة، و يقول: " لا يمكن تأسيس الحقل الما بعد كولونيالي بمجرد الرغبة به و عبر الإصرار على المصادقية و النبل في سياسات النشاط التحرري المناهض للكولونيالية ، لأنّ العلاقة الفعلية للسلطة ليس فقط في ميدان المعركة بل هي في الحقيقة في عملية إسقاط الأوربة أو لأوربة de- Europeanization² ويشير إلى دور (سبيفاك و سعيد) . ويعتمد (دباشي) على مثقفي المنفى لخوض المعركة من خلال تحليل كتاب (إدوارد) Representations of the Intellectual (المتقف والسلطة) من خلال الإشارة إلى المتقف المضاد.

ب.5- عصر جديد و نهاية منظور قديم

في نهاية كتابه ما بعد الإستشراق ، يقدم (دباشي) تنويعاً إلى ضرورة تغيير المحاور كحاجة ملحة، من خلال الربط بين شجاعة الإلتزام السياسي لدى (إدوارد سعيد) و نقد (غياتري سبيفاك) للتفكيك الأوروبي لمسألة السيادة، و يمضي (دباشي) في السعي نحو تأسيس واقع مغاير، ومن خلال رؤيته يرى المعضلة التي وقع فيها كلّ من (سعيد و سبيفاك) المتمثل في حضور الغرب كمحاور رئيسي يحاكم رؤيتهما، (فسبيفاك) بقت أسيرة انطباعاتها الزائف كما يصفه (دباشي)، كما تناول أهمية تغيير المحاور وما يعني به ليس السياسي فقط، بل أخذ الجانب الأدبي في الحسبان. والغرض الأساسي من أطروحة (دباشي) هو تغيير المحاور الذي يهدف به أساساً إلى وضع حلّ فوري و ناجح لأزمة المستلب بالنسبة للنّاقد الما بعد كولونيالي. ويشير (دباشي) كذلك إلى " أهمية إعادة إحياء التمثيل الأخلاقي والمعياري في النّاقد ما بعد الكولونيالي ويؤكد على أنّ الزّاهن اليوم يدلّ على إنهيار السيادة

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.347.

² - المرجع السابق نفسه، ص ص 185- 186.

الغربية و الذات العارفة في عالم جديد يحكمه رأس المال المعولم الذي لا يعرف مركزاً و لا محيطاً لسيادته الموهومة¹. ويخلص (دباشي) من أنّ تغيير المحاور نحو تجديد الالتزام بصوت أخلاقيّ إزاء فضاء العولمة، فهذا الصوت ذو إستراتيجيه جديدة تستند على سلطته الذاتية المستقلة دون أي خوف من تمثيل متداع.

ج/- لمحة عامة عن التخصصات المختلفة المستخدمة في الكتاب

يقدم كتاب (حميد دباشي) (ما بعد الاستشراق) مقارنة متعدّدة التخصصات لفهم الشرق الأوسط، يعتمد (دباشي) على مجموعة واسعة من التخصصات، بما في ذلك التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراسات الأدبية، لتطوير منهجه، يسمح هذا النهج متعدّد التخصصات (لدباشي) بالاستفادة من مجموعة واسعة من الأدوات النظرية والمنهجية لتطوير حجته. كما يسمح نهج (دباشي) متعدّد التخصصات أيضاً بإجراء تحليل أكثر نقداً للطرق التي فهم بها الغرب تاريخياً الشرق الأوسط. من خلال الاعتماد على مجموعة من التخصصات فهو قادر على كشف التحيزات والافتراضات التي شكّلت الفهم الغربي للمنطقة، على سبيل المثال، يسمح له استخدامه للدراسات الأدبية بفحص الطرق التي صور بها الأدب الغربي تاريخياً الشرق الأوسط على أنّه " غريب وغير عقلانيّ وبدائيّ "2، وبالمثل فإنّ استخدامه للتاريخ والأنثروبولوجيا يسمح له باستكشاف الطرق التي شكّل بها الإستعمار الغربي والإمبريالية المنطقة.

نهج (حميد دباشي) متعدّد التخصصات لفهم الشرق الأوسط هو سمة أساسية لإستراتيجيته التأويلية، كما هو وارد في كتابه (ما بعد الاستشراق) لتطوير منهجه، من خلال الجمع بين هذه المنظورات الانضباطية المختلفة، يستطيع (دباشي) تقديم فهم أكثر دقة ومتعدّد الأوجه للشرق الأوسط يتجاوز القوالب النمطية والتحيزات الإستشراقية التقليدية. وسنقدّم لمحة عامة عن التخصصات المختلفة المستخدمة في كتاب (ما بعد الاستشراق) ونفحص مساهماتها في نهج (دباشي).

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.348.

² - المرجع السابق نفسه، ص.208.

- التاريخ

يلعب التاريخ دوراً حاسماً في نهج (دباشي) لفهم الشرق الأوسط، من خلال دراسة السياق التاريخي الذي تنشأ فيه الأفكار والمفاهيم، يستطيع (دباشي) توفير فهم دقيق للديناميكيات الثقافية والسياسية في المنطقة، على سبيل المثال، في تحليله للإستشراق، يتتبع (دباشي) تاريخ الإستعمار الغربي في الشرق الأوسط ويظهر كيف شكّل الفهم الغربي للمنطقة عبر فهم هذا السياق التاريخي، يستطيع (دباشي) تقديم منظور أكثر دقة حول التمثيلات الغربية للشرق الأوسط.

- الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا هي مجال مهم آخر يُستخدم في نهج (دباشي)، حيث توفر الأنثروبولوجيا إطاراً لفهم الممارسات والمعتقدات الثقافية لمجتمعات الشرق الأوسط. عبر الاعتماد على الرؤى الأنثروبولوجية، يستطيع (دباشي) تسليط الضوء على تنوع ثقافات الشرق الأوسط متحدّياً التمثيلات التبسيطية والإختزالية للمنطقة الشائعة في وسائل الإعلام الغربية والأوساط الأكاديمية.

- الدراسات الأدبية

تلعب الدراسات الأدبية دوراً رئيسياً في نهج (دباشي) لفهم الشرق الأوسط. ويرى (دباشي) أن " الأدب أداة مهمة لفهم الديناميكيات الثقافية والسياسية في المنطقة. عبر تحليل الأعمال الأدبية"¹، حيث بمقدور (دباشي) دراسة العلاقات المعقدة بين اللغة والثقافة والسياسة في الشرق الأوسط. ويرى بأن " الأعمال الأدبية يمكن أن توفر نظرة ثاقبة للسياق الثقافي والتاريخي الذي تم إنتاجها فيه، ويمكن أن تساعدنا في فهم الطرق التي تنتقل بها التقاليد الثقافية عبر الأجيال"²، وذلك من خلال دور المثقفين ورؤيتهم.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص.46.

² - المرجع السابق نفسه، ص.26.

- علم الاجتماع

علم الاجتماع هو مجال مهم آخر يُستخدم في نهج (دباشي)، عبر الاعتماد على الرؤى الاجتماعية، حيث يمكن (دباشي) دراسة الديناميكيات الاجتماعية والسياسية في الشرق الأوسط. ويرى بأن " علم الاجتماع يمكن أن يساعدنا في فهم الإستراتيجيات التي تعمل بها السلطة في مجتمعات الشرق الأوسط، وكيف يتم التفاوض على هذه القوة والتنازع عليها "1. من خلال دراسة السياق الاجتماعي والسياسي الذي تنشأ فيه الأفكار والمفاهيم، يستطيع (دباشي) تقديم فهم أكثر دقة للمنطقة.

- اللغويات

اللغويات هي تخصص أساسي في نهج (دباشي) لفهم الشرق الأوسط، يقول (دباشي) أن " اللغة هي أداة رئيسية لفهم الثقافة والسياسة في المنطقة، من خلال دراسة الفروق الدقيقة والتعقيدات في لغات الشرق الأوسط "2.

- العلوم السياسية

العلوم السياسية هي تخصص آخر يُستخدم في نهج (دباشي)، من خلال الاعتماد على رؤى العلوم السياسية، بمقدور (دباشي) دراسة الديناميكيات السياسية في المنطقة. ويرى بأن " العلوم السياسية يمكن أن تساعدنا في فهم الطرق التي تعمل بها القوة في الشرق الأوسط وكيف يتم التفاوض على هذه القوة والتنازع عليها "3. وعبر فحص السياق السياسي الذي تنشأ فيه الأفكار والمفاهيم، يستطيع (دباشي) تقديم فهماً أدق للمنطقة.

1 - المرجع السابق نفسه، ص. 46.

2 - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3 - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

3/- التأويل في فكر دباشي (ما بعد الإستشراق)

- أ/- دباشي وأعلام نظرية ما بعد الكولونيالية في ما بعد الإستشراق

يُقدّم كتاب (حميد دباشي)، (ما بعد الإستشراق المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب) نقداً قوياً للهيمنة الغربية والطرق التي شكّلت بها فهمنا للعالم، في هذا العمل، يعتمد (دباشي) على أفكار العديد من المنظرين الرئيسيين لما بعد الإستعمار لتطوير إطار جديد للتفكير في القوة والمعرفة والمقاومة في العالم المعاصر. فهو يقدّم رؤية وقراءة جديدة للإستشراق والطريقة التي بنى بها العلماء والمفكرون الغربيون وجهة نظر معينة للشرق والشرق الأوسط على وجه الخصوص، وذلك بالاعتماد على أعمال (إدوارد سعيد)، يرى (دباشي) بأنّ " الإستشراق ليس مجرد مسألة تمثيل أو اختلاف ثقافي، ولكنه بدلاً من ذلك مشروع سياسي وأيديولوجي عميق خدم في تبرير التدخل الغربي في المنطقة، وكما يبيّن (دباشي) أنّ هذا الإطار الإستشراقي قد أستخدم لخلق ثنائية زائفة بين الغرب والشرق، حيث يدّعي الغرب أنّه يمثل القيم العالمية بينما يصوّر الشرق على أنّه بدائي ومتخلف ويحتاج إلى التدخل والسيطرة للغربيين".¹ ولا ينكر (دباشي)، تأثير (إدوارد سعيد) على مساره الأكاديمي كمثقف مهاجر ويقول: " إذا نزعنا الإستشراق ونزعت (إدوارد سعيد) من وعينا، فإنّ جيلي من المثقفين المهاجرين، سيكونون مجرد حفنة من الأرواح المتشائمة، أو قد نتحوّل بكلّ أسف وبشكل مثير للشفقة إلى النوع أو ذاك من الجواسيس والمُخبرين المحليين، ممّن يبيعون أرواحهم إلى سلاطين بلا روح".² فلا غرابة إذن، في أن يفرد (حميد دباشي)، حيزاً من الكتاب، لتصحيح مجموعة من الصوّر النمطية للإستشراق، وفي إجابته على سؤال عن ردّة فعل (سعيد) تجاه هذا التطوّر الحالي في السياسة يقول (دباشي): " بالطبع سيكون مذعوراً. بيد أنّه تركنا مع مجموعة ضخمة من أعمال تمكّن أجيالاً من الباحثين والمفكرين الناقدين من التفكير بأسلوبه في نهاية قصيدة رائعة، سئم (جلال الدين الرومي) أخيراً من قول ما كان يقوله ويقول للموسيقين في التجمّع "حسناً، لقد وصلتكم الفكرة، فقط استمروا بالعزف على غرار ذلك".

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 249.

² - حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟. ترجمة عماد الأحمد، منشورات المتوسط، ط1، ميلانو، إيطاليا، 2016، ص. 66.

والأمر ذاته مع (إدوارد سعيد). لقد اكتشف نظرية معرفية جديدة، ونصل الآن إلى إتمامها وربما حتى فرصة على آفاق عالم جديد¹.

ولتحدّي هذا الإطار الإستشراقي، يعتمد (دباشي) على عمل العديد من منظري ما بعد الإستعمار الرئيسيّين، بما في ذلك (إدوارد سعيد، وغاياتري تشاكرافورتى سبيفاك، وهومي بابا وفرانز فانون). حيث يعتبر عمل (فرانز فانون) محورياً أيضاً في نقد (دباشي) للهيمنة الغربية فتأكيّد (فانون) على الحاجة إلى وعي متحرّر ورفض الهيمنة الغربية يتحدّث بشكل مباشر عن نقد (دباشي) للإستشراق والطرق التي إستخدمت بها هياكل السّلطة الغربية لإسكات الأصوات المعارضة. ويرى (دباشي) بأنّ " عمل (فانون) مهمّ بشكل خاصّ في عالم ما بعد 11 سبتمبر، حيث إستخدمت الحكومات الغربية تهديد الإرهاب لتبرير توسّع القوّة العسكرية وإسكات الأصوات المعارضة في الدّاخل والخارج"².

كما يلعب عمل (غاياتري تشاكرافورتى سبيفاك) حول التّبعيّة والنّسويّة ما بعد الإستعمار أيضاً دوراً رئيسياً في نقد (دباشي) للهيمنة الغربية، لكنّ بقراءة وتأويل جديد حيث يسعى (دباشي) إلى فتح إمكانيّات جديدة للمقاومة والتّحوّل. ويعتبر كتاب (دباشي) في جوهره دعوة للعمل، حيث يحثّ القراء على الانخراط بشكل نقديّ في هياكل السّلطة والمعرفة التي تشكّل فهمنا للعالم، والعمل على خلق إمكانيّات جديدة للمقاومة والإستقلاليّة والتّحوّل. بالاعتماد على أفكار هؤلاء المنظّرين الرئيسيّين لما بعد الإستعمار، حيث عرض (دباشي) في عمله فكر أعلام النّظرية ما بعد الكولونياليّة وناقش أفكارهم برؤى جديدة وقراءة من منظور العالم المعاصر.

وكانت البداية مع (إدوارد سعيد) الذي يحتلّ حيّزا كبيرا من إهتماماته في هذا الكتاب لأنّ هذه الدّراسة موسومة (ما بعد الإستشراق)، والذي يعني من الإستشراق هنا كتاب (إدوارد سعيد) الصّادر سنة 1978م، (دباشي) يناقش هنا أفكار (سعيد) الواردة في كتابه ويقترح قراءة أفكاره في سياق معرفيّ محدّد. وينطلق (دباشي) من أفكار (سعيد) ومن مضمونها

¹ - توغرل منده، إرث الإستعمار الأوروبي لا يزال حاضراً في الشّرق. ترجمة: يسرى مدعي، 2019. // <https://ar.Qantara.de>

² - حميد دباشي، الإستشراق؛ السّلطة والمعرفة في زمن الإرهاب. ص. 245.

وتأثيراتها الفكرية في ظلّ التحوّلات العالميّة المختلفة وانعكاساتها الكبيرة في حياة البشريّة ويقدم طريقة إنتاج المعرفة في الغرب، ويتساءل " كيف سنواجه هذا الدفق المهل في المعرفة السلعية التي تفتقد المنهجية العلمية التي قام عليها الإستشراق الكلاسيكي في أطواره المبكرة " ¹.

فالسّياق الذي كُتبت فيه أعمال المُستشرقين الكبرى مختلف عن السّياق الحالي. ويركّز على مسألة التمثيل حيث يقدم قراءة لأفكار (سعيد) فيما يخصّ هذه القضية، ويرى أنّه " يتحمّ اليوم تحديث ملاحظات (سعيد) وتفصيل مضامينها بالنّظر إلى رمزية الأحداث المفصلية التي أدّت إلى متلازمة: ما بعد الحادي عشر من سبتمبر " ².

فالإستشراق ومفهومه في نظر (دباشي) كان في حاجة إلى قراءة وتأويل جديد في إطار السّياق الفكريّ والسياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ الجديد، الذي يميّزه دخول الإنسان عالمًا جديدًا مختلف عن سابقه، فقد كانت منظومة (سعيد) قائمة على إستقراء مادّة إستشراقية مرتبطة بسياق آخر مختلف تمامًا، ولها علاقة وثيقة بالإستعمار والإمبراطورية ثمّ الإمبريالية التي أعقبت تلك الفترة، وكانت فترة ما بعد الكولونيالية متميزة بهيمنة عن بُعد من خلال التّدخل في شؤون الدّول وتحديد سياساتها، أمّا اليوم نشهد انفجاراً معرفياً وإعلامياً كبيراً جعل العالم يبدو مُتقارباً أكثر من أيّ وقت مضى، حيث طغت الرأسمالية كمنهج إقتصاديّ اتّخذته الكثير من الدّول، ممّا أدّى إلى صنع أوضاعاً اجتماعية عالمية جديدة، بحيث لا يمكن مقاربتها بالطريقة نفسها التي تحدّث عنها (سعيد).

ووفقاً (لدباشي)، يميّز الإستشراق الجديد بعدد من السمات الرئيسيّة، أولاً، تقوم على ثنائية زائفة بين الغرب والشرق، تعمل على تعزيز فكرة أنّ الغرب متفوق والشرق أدنى ثانياً، يميّز بشكل جديد من الإستعمار يسعى للسيطرة على الشرق من خلال القوّة العسكرية والهيمنة الإقتصادية. ثالثاً، يقوم على شكل جديد من الخطاب الإستشراقي ويسعى إلى تكوين صورة مشوهة للشرق من أجل تبرير الهيمنة الغربية. ومن أجل تحدّي الإستشراق الجديد والإطار الإستشراقي الذي يقوم عليه، يجادل (دباشي) بأنّه من الضّروري الانخراط في شكل جديد من

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 11.

² - المرجع السابق نفسه، ص ص 15 - 16.

أشكال العلم الذي يقوم على مجموعة مختلفة من القيم والمبادئ، ويجب أن يلتزم بالعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان ومبدأ تقرير المصير كما يجب أن يركز على الاعتراف بتتوُّع الشرق ، ويجب أن يسعى لإعطاء صوت للمهمَّشين. ويرى أنَّ "الطريقة الوحيدة والأمثل لمقاومة السَّطوة المعيارية لهذه الهيمنة وتذليلها هي في تهيئة منابر الحوارات الثقافية العابرة للحدود، وانتشالها من حظيرة المراكز المزعومة للقوة الكونية"¹.

يرتكز عمل (دباشي) في المعرفة والسلطة على منظور ما بعد الإستعمار الذي يؤكِّد على دور الإستعمار والإمبريالية في تشكيل علاقات القوة العالمية، ويجادل بأنَّ عالم ما بعد 11 سبتمبر يميَّز بشكل جديد من الإمبريالية، شكل يميَّز باستخدام القوة العسكرية لتأمين الوصول إلى الموارد والأسواق، وتوسيع المراقبة والسيطرة. ويتمَّ تبرير هذه الإمبريالية الجديدة من خلال إنتاج المعرفة التي تصوِّر مجموعات معينة على أنَّها "إرهابية" والبعض الآخر على أنَّها "متحضرة" و "ديمقراطية". بهذه الإستراتيجية يبني (دباشي) على تحليل (سعيد) للإستشراق، والذي حدّد الطُّرق التي تمَّ بها بناء المعرفة الغربية عن الشرق من أجل تبرير الإستعمار والإمبريالية. لكنَّ عمل (دباشي) يتجاوز أفكار (سعيد) بعدة طُرق. أولاً ، يُسلِّط الضوء على دور المثقَّفين والمفكرين غير الغربيين في تحدِّي إنتاج المعرفة المهيمن ويجادل بأنَّ "عالم ما بعد الإستعمار قد أنتج مجموعة غنية من المعرفة التي غالباً ما يتمَّ تهميشها في الأوساط الأكاديمية ووسائل الإعلام الغربية"². ومن خلال الانخراط مع هذه الأصوات غير الغربية، يسعى (Dabashi دباشي) لتحدي هيمنة إنتاج المعرفة الغربية وتعزيز فهم أكثر تعددية للعالم.

ثانياً، يستند عمل (دباشي) إلى تجاربه الخاصة كعالم إيراني يعيش ويعمل في الولايات المتحدة الأمريكية. إنَّه مدرك تماماً للطُّرق التي تعمل بها السلطة من خلال بناء المعرفة وقد اختبر بشكل مباشر آثار الإستشراق والعنصرية في الأكاديمية، ويعطي هذا المنظور الشَّخصي لعمله إحساساً بالإلحاح والأهمية يتجاوز المناقشات النظرية المجردة ثالثاً، يميَّز عمل (دباشي) المعرفة والسلطة بالالتزام بالمشاركة السياسية والنشاط، إنَّه لا يكتفي بمجرد

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 201.

² - المرجع السابق نفسه، ص ص، 284-282.

تحليل هياكل السلطة والمعرفة، ولكنه يسعى إلى تحديها من خلال كتاباته ونشاطه، ويتضح هذا في إنتقاداته للسياسة الخارجية الأمريكية، ودعمه لتحرير الفلسطينيين، وإنخراطه في النضالات الأوسع ضدّ العنصرية والإمبريالية والنيلبرالية.

ويرى أنّ " الإستشراق هو عمل جارٍ، إنّه زيف يتكشف. إنّه يُشير ببساطة إلى علاقة إنتاج المعرفة والقوة، وبما أنّ علاقة القوة هذه غير متبلورة، وليست مركزية عرقية وليست مستقرة، فإنّ إنتاج المعرفة يتناسب معها ويفترض أشكالاً غير متبلورة. (جان ليون جيروم) رسم مع القوة والثقة. أما اليوم فيستخدمه الفاشيون الأوروبيون مع الخوف والكراهية. هذه لحظات مختلفة ¹ .

وإنّ نقد الإستشراق (سعيد)، حسب (دباشي)، هو نقد لطريقة إنتاج المعرفة، والهدف الأساس منه هو تحليل الإستشراق بما هو تجسيد للسيطرة ووجه من أوجه الإمبريالية. هكذا بعث (دباشي) مجدداً الطاقة التحليلية لنقد الإستشراق متجاوزاً الفهم الكلاسيكيّ له، مقترحاً رؤية جديدة تتخطى كلّ المنظومة الفكرية التي كانت وليدة للمشروع الكولونياليّ، ملحاً على كون معاركنا اليوم، تدور حول نظام المعرفة الجديد الذي نحتاجه حتّى نتمكن من فهم وتغيير عالما الناشئ.

ففي " مثقفي المنفى " وإنطلاقاً من رؤية (سعيد) في كتابه " صور المثقف "، يُجدّد (دباشي) السّجال حول دور المثقف في الإمبراطورية الجديدة، مُستعيداً ملاحظات (توكفيل) حول الفلسفة العملائية والنّفور من الفكر التأمليّ لدى المثقف الأمريكيّ، مروراً بحقبة إنغرس فيها المثقف أكثر في تربة مختلفة عمّا وصفه (توكفيل)، وإنتهاء بسجلات (هارولد ستينز وجوليان بندا وراسل جاكوبي)، وبقية الأكاديميين الأمريكيين ممّن شارك في هذا السّجال ومن بينهم بالطّبع (سعيد)، على دور المثقف الأميركيّ، بوصفه صاحب عبء مضاعف ملقى على عاتقه، ذلك أنّه المثقف الوحيد الذي يملك ميزة الاتّصال بالوسط المحليّ للإمبراطورية الجديدة، التي تشكّل خطراً يتهدّد العالم كلّّه نتيجة إنفرادها بقيادته. ويأتي إستناد (دباشي) إلى طرح (سعيد) حول " صور المنفى "، إستجابة لطلب ملح تفرضه راهنية السّؤال المطروح

¹ - توغرل منده، إرث الإستعمار الأوروبي لا يزال حاضراً في الشرق. ترجمة: يسرى مدعي.

حول التمثيل وضرورة تفكيك دعاويه، وتجاوزها عبر طرح إستراتيجية التمثيل الذاتي. وهذا ما عبّر عنه دباشي بأولوية دور المثقف في هذه اللحظة المفصلية من عمر التمثيل الإمبريالي، والتي تقتضي إعادة ترتيب خطاب المقاومة، عبر تقديم دور المثقف وتأخير الإستشراق، حتى يتسنى للكاتب إنجاز الهدف البعيد لمشروعه، ومواجهة الرغبة المتزايدة في التمثيل المسيطر، والرغبة المتمردة والثائرة، والرغبة في إحراز قوة التمثيل الذاتي.¹ في سعيه ضمن مشروعه الرأغب في تجاوز المستنقع الذي أفرزته النقاشات السياسية لإستشراق (سعيد)، والساعي لخلخلة البنى غير المتوازنة داخل إطار الهيمنة / التمثيل الإمبريالي مقابل الرغبة في التمثيل الذاتي Agency.

ومن خلال التطرق إلى مفهوم المثقف والمنفى فإننا نتحدث عن مفهوم من المفاهيم الأساسية في المشروع الفكري (السعيد) ذلك أنه إهتم بالمثقف وأدواره وخاصة مثقف المنفى الذي يعيش منفى مزدوجاً منفى اللغة ومنفى الوطن. لقد قدّم (دباشي) صورة مثقف المنفى وهي " أن تكون مفكراً في وطن لا تنتمي إليه، وهي تحتل مكانة كبرى في المسعى الهادف لغرس التمثيل الذاتي المستقل بشقيّه المعيارى والأخلاقي"².

فمفهوم المثقف في عمل (دباشي) يمثل جوهر العمل ويعتبر ذا أهمية قصوى عند المشتغلين في حقل الدراسات الثقافية على العموم، فقد طرح (دباشي) خطرين يتهددان قيام مجتمع من المفسرين المضادين، أولاً، ما يسميه خطر النجومية كون (سعيد وتشومسكي) نجمي مجتمع أكاديمي، داخل فضاء أوسع تسيطر عليه الثقافة الأخلاقية البروتستانتية بوصفها مضادة لثقافة الإنتاج العفوي، غير المشروط مسبقاً، أو ثقافة الخمول، ومن ثم تقف الثقافة البروتستانتية حائلاً دون وجود مثقف غير مسؤول، بكل ما يحمله مبدأ " عدم المسؤولية" من دلالات إيجابية، أي بما يتعارض مع القيود التي يفرضها العمل الأكاديمي على المثقف. وثانياً، ثقافة الاحترافية المتزايدة في أوساط الطلبة الجامعيين، والتي تحثهم لنبذ التفكير النقدي الحر واستبداله بمراكمة سلسلة من التدريبات العملية في مسار وظيفي هذا جنب إلى جنب مع انعدام المناخ الحر والمحفز للخيال الإبداعي في البيئة الجامعية في

¹ - حميد دباشي، الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص. 17، 25، 27.

² - المرجع السابق نفسه، ص. 17.

أميركا، والرغبة المتزايدة في أوساط صغار الأكاديميين في الحصول على وظائف ضمن المؤسسات الواعدة على حساب حريتهم الفكرية.

في مقابل هذه الأخطار، يطرح (دباشي) إمكانية أن يتشكل مجتمع من المفسرين المضادين، وهذا ما تؤكد تجارب (سعيد وتشومسكي وجاكوبي وغور فيدال) الذين عملوا على التضاد مع مصالحهم المهنية والطبقية ودون أن يخشوا أحد. فوجدوا من يصغي لحديثهم، وأوصى (ريتشارد رورتي) في مواجهة علاقات القوة داخل أنساق الثقافة السياسية ليصبحوا أخيراً مسؤولين عن إضعاف العنف الكامن في التصنيفات الماورائية كما يجادل (جيانى فاتيمو).

وتتجلى أهمية هذا العمل من خلال بحث (دباشي) عن ميكانيزمات عقلانية جديدة تسعى لإبتكار سبل جديدة نحو نمط من التمثيل الذاتي Agency المستقل يُمكن التابع من إنتاج منظومته المعرفية بشأن العالم من دون أن يكون أسير ما يسمى أزمة المستلب ويقوم جدل (دباشي) في هذا السياق على أن الأزمة المفترضة للمستلب هي الوجه الآخر للأزمة الحقيقية التي خلقتها الأيديولوجية السائدة والتي فشلت قطعاً في الإقناع أو السيطرة أو تعزيز حالة العبودية لدى الجمهور الذي تستهدفه. وعلى الصفة المقابلة للأزمة الأيديولوجية (بمعنى الهيمنة الإمبراطورية)، يسطع دليل إستثنائي على حالة ثورية عابرة للحدود جسدها عدد من قادة العالم الثوريين في القرن العشرين. وتبعاً لذلك يحاول (دباشي) في هذا الباب نسج خيوط متعدّدة على نول رؤية مشتركة بين عدد من المفكرين والفاعلين الثوريين (جيفارا، فرانتر فانون، مالكوم إكس، وعلي شريعتي، الذين تمكنوا من اجتياز عوائق مُربكة للوصول إلى عولمة مفهوم التحرر¹، وهدفه هنا هو تفصيل قضية التمثيل الذاتي الخلاق في السياق الثوري على وجه التحديد، وبرهنته أن الخصيصة الثورية الأصلية حقاً هي التّمظهر الجليّ المناقض على الدوام لحالة الزيف الثوري.

إنّ فكر (حميد دباشي) قائم على مقولات النظرية ما بعد الكولونيالية ومنطلق من أهم الأفكار التي جاء بها أعلامها، فهو يُحيل إليهم ويتتبع أفكارهم ويُحاول بناء مفاهيم وقراءة

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 21.

جديدة متوافقة مع التحوّلات العالميّة الجديدة، ويركّز - من ناحية أخرى - على مضامين أفكار (غاياتري سبيفاك) التي عُرفت بأعمالها في مجال دراسات التابع. (غاياتري شاكرافورتى سبيفاك) باحثة أمريكية هندية المولد قدّمت مساهمات كبيرة في مجالات النقد الأدبيّ والدراسات الثقافيّة ونظرية ما بعد الإستعمار، تميّز عملها بشكل خاصّ بتفاعلها مع قضايا الجنس والعرق والإمبرياليّة، ولتأكيدّها على أهميّة منظور التابع. أحد أكثر مساهمات (سبيفاك) تأثيراً في نظرية ما بعد الإستعمار هو مفهومها عن التبعيّة. في مقالها الأساسي "هل يستطيع التابع أن يتكلّم؟" 1988م، تجادل (سبيفاك) بأنّ أصوات أولئك الذين تمّ تهميشهم من قبل الخطاب السائد للإمبرياليّة الغربيّة غالباً ما يتمّ إسكاتهم أو تجاهلهم. وهي تعرّف التابع على أنّه "ما لا مكان له في التعبير المهيمن للثقافة ولا صوت له في التعبير الاجتماعي العامّ للمجتمع" 1 .

كان لعمل (Spivak) حول التبعيّة والنسويّة ما بعد الإستعمار تأثير كبير على مجال نظرية ما بعد الإستعمار، وأثر على عمل العديد من الباحثين والنّاشطين الآخرين، إنّ تركيزها على أهميّة الإستماع إلى وجهات نظر التابعين وعلى الحاجة إلى تحدّي خطابات القوّة والمعرفة المهيمنة قد وفّر إطاراً قوياً للتّفكير في قضايا الإمبرياليّة والجنس والعرق ومن المفاهيم الأساسيّة التي اشتهرت بها (سبيفاك) هي فكرة التابع، في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلّم؟"، تجادل بأنّ أصوات المجموعات المهمّشة والمضطّهدة غالباً ما يتمّ إسكاتهم ومحوها من قبل الخطابات المهيمنة، وتقول إنّ " من المهمّ الإستماع إلى هذه الأصوات وتضخيمها ، بدلاً من التحدّث نيابة عنها أو فوقها" 2 . وينخرط (دباشي) في هذه الفكرة في ما بعد الإستشراق ، بحجّة أنّ الخطاب الغربيّ حول الإرهاب و (الحرب على الإرهاب) قد أسكت أصوات المسلمين والنّاس من الشّرق الأوسط واعتبرهم تهديداً موحّداً بدلاً من الاعتراف بتنوّعهم.

¹ -Spivak, Gayatri Chakravorty, Can the Subaltern Speak?. in "Marxism and the Interpretation of Culture, University of Illinois Press, ,1988,p.72.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 271.

تشارك (دباشي) أيضاً في نقد (سبيفاك) للنسوية الغربية، وتجادل (سبيفاك) بأنّ " النسوية الغربية غالباً ما تكون محدودة بتركيزها على نساء الطبقة الوسطى من البيض وفشلها في معالجة الاهتمامات الخاصة بالنساء من المجتمعات المهمشة"¹. وبالمثل، ينتقد (دباشي) الخطاب النسوي الغربي حول الشرق الأوسط، بحجة أنّه " غالباً ما تمّ استخدامه لتبرير التدخلات العسكرية الغربية وإسكات أصوات النساء في المنطقة "². ويتعامل (دباشي) مع مفهوم (Spivak) للمفكر في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟"، وترى (سبيفاك) بأنّ " المثقف يجب أن يكون على استعداد للإنخراط في نقد الذات وتحدي الخطابات السائدة من أجل خلق مساحة للأصوات المهمشة"³. بالمثل يجادل (دباشي) بأنّ " على المثقفين مسؤولية تحدي الإطار الإستشراقي وخلق طرق جديدة للتفكير في السلطة والمعرفة"⁴.

ومن الطرق التي يرتبط بها نقد (دباشي) للسلطة والمعرفة بتأكيد (سبيفاك) على الحاجة إلى سماع الأصوات المهمشة من خلال تحليله لدور وسائل الإعلام في تشكيل الخطاب العام، ويجادل (دباشي) بأنّ " الإعلام يلعب دوراً حاسماً في إدامة الإطار الإستشراقي، وأنّه غالباً ما يكون متواطئاً في تهميش الجماعات التابعة. ويشير إلى مثال الحرب على الإرهاب التي تمّ تبريرها في الإعلام من خلال استخدام المجازات الإستشراقية التي صورت الشرق على أنّه خطر وبربري، والغرب على أنّه حضاري ومستنير"⁵ ويجادل (دباشي) أنّه فقط من خلال تحدي هذه الإستعارات الإستشراقية وخلق مساحات لسماع الأصوات المهمشة يمكن التحرر من هياكل السلطة والمعرفة التي تديم الهيمنة الغربية. ويستشهد بمثال الربيع العربي الذي يجادل بأنّه كان مثلاً قوياً للأصوات المهمشة التي اجتمعت معاً لتحدي هياكل السلطة والمعرفة التي فرضتها عليها القوى الغربية.

" أنا لست تابعياً "، يقتفي (دباشي) أثر مقولة (سبيفاك) (هل بمقدور التابع أن يتكلم ؟) ودورها في في تفكيك مقولة السيادة، وكيف أنّ عنواناً بهذه القوة قد فرضته الصدفة

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 272- 273 .

² - حميد دباشي، الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإهاب. ص. 210.

³ - Spivak, Gayatri Chakravorty, Can the Subaltern Speak , op. cit, p.302

⁴ - حميد دباشي، الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإهاب. ص. 202.

⁵ - المرجع السابق نفسه، ص. 149.

المحضة، (سبيفاك) أعطت بحثها ذاك العنوان " السّلاطة، الرّغبة، المصلحة "، ويقرأ (دباشي) جملة (سبيفاك) بأسلوب مُهذّب في طلب الحديث، ولكنّ أيضاً كاستعارة تطرح سؤالاً لتُجيب عنه في ثنايا سؤالها، كونها تتساءل عن قدرتها على الكلام في الوقت نفسه الذي تطلب فيه فرصة للحديث. ويعرض (دباشي) أهم أفكار (سبيفاك) الواردة في مقالها (هل بمقدور التّابع أن يتكلّم؟)، ويقدم رؤيتها بنوع من الانتقاد " بيد أنّها بقيت أسيرة إنطباعها الرّائف كما أنّ نقدها لما بعد كولونياليّ للناقد الأوروبي لموضوع السّيادة " ¹.

حيث يُضيف عمل (سبيفاك) (هل بمقدور التّابع أن يتكلّم؟)، " ثورة في حقل الدّراسات ما بعد الكولونياليّة، تقوم جدليتها على أنّ التّابع لم يمتلك بعدُ السّياقات التّقافيّة الخاصّة به ليتمكّن من الكلام وإسماع الآخرين صوته الدّاتيّ، وقد سلّبه التّمثيل الكولونياليّ حقّ تمثيل ذاته وحقّ الكلام" ². فالتّابع صامت لا يتكلّم وليس له حضور في ثقافة المركز فهو ذاتٌ مقمّوعة ومحجوزة عليها، ولا يزال كذلك بسبب أنّه ليس واعياً بالسّياقات المعاصرة التي تمكّنه من التّحرّر، وعملية الوعي هذه ليست بالسّهلة على الإطلاق لأنّ الظروف الجديدة تمنعه دوماً من أن يُصبح واعياً كي يتمكّن من التّحرّر.

يرى (دباشي) أنّ (سبيفاك) تهدف، " إلى الفصل بين حديث التّابع عن ذاته للآخرين وحديثه عن ذاته ضمن السّياق التّقافيّ الأصليّ حيث تتبلور هويّته التّقافيّة ويُعيد بناء التّضامن التّقافيّ بين جماعات محيطه المتباينة (التّابعة) " ³. ويظهر (دباشي) تلاقي كلّ من (سبيفاك وسعيد) في موضوع دور المثقّف، قبل أن ينتقل لمناقشة (رانا جيت جوها) حول دراسات التّابع مُعيداً قراءة (هيجل) وتصوّره للتّاريخ من هذه الزّاوية، ومُشيداً بروايات تاريخيّة أصيلة لا تقل أهميّة لمنطقة فارس والهند والشرق عموماً.

وينتقدونهم ويُخضع أفكارهم إلى المُساءلة قائلاً: " لم يتمكّن أيّ منهم ولا في أشدّ نزعاته الفكرية إقداماً من تجاوز تلك النّظرة المتقرّسة التي تلمع في عيني محاورهم الأبيض كما

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص. 186.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 8.

³ - المرجع السّابق نفسه، الصفحة نفسها.

يحرّروا رؤاهم ويمنعوا النَّظر فيهم بغية إيجاد مواقع بديلة للحوار، للتَّغيير وللتَّمرّد أيضاً¹ كما يرى في بعض آرائهم ثغوراً وقصوراً في الرّؤية وفي التَّعامل مع بعض القضايا وتطلّ هيمنة الرّجل الأبيض الأوروبي الغربيّ على فكر (سعيد وسبيفاك) وعلى قراءاتهم التَّاريخية الفكرة الأساسيّة التي ينتقدها (دباشي)، ويناقشها ويعيد قراءتها.

- ب/- إسهامات دباشي في نظرية ما بعد الكولونياليّة في ما بعد الإستشراق

ركّز عمل (دباشي) على مجموعة واسعة من القضايا المتعلّقة بتقاطعات الثقافة والسياسة والتَّاريخ، وكتب على نطاق واسع عن سياسات الهوية والقوميّة والإنتاج الثقافيّ في الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا، وكذلك عن العلاقة بين الغرب وبقية العالم. يُعرف (دباشي) بشكل خاصّ بإسهاماته في نظرية ما بعد الإستعمار، والتي وسّعها وأعاد تعريفها من خلال قراءته لأقطابها. ظهرت نظرية ما بعد الإستعمار في الثَّمانينيات والتَّسعينيات كردّ فعل حاسم على موروّثات الإستعمار والإمبرياليّة. تسعى إلى فهم كيف شكّل الإستعمار الثقافات والمجتمعات والهياكل السياسيّة في جميع أنحاء العالم، فضلاً عن الطّرق التي يستمر بها الإستعمار في تشكيل العلاقات العالميّة المعاصرة وتمّ استخدام نظرية ما بعد الإستعمار لتحليل مجموعة من الظواهر من الأدب والسّينما إلى الإقتصاد السياسيّ والعلاقات الدّوليّة.

كانت مساهمات (دباشي) في نظرية ما بعد الإستعمار مهمّة في العديد من المجالات الرّئيسيّة. أولاً ، أكّد على أهميّة وضع نظرية ما بعد الإستعمار ضمن سياقات تاريخيّة وثقافيّة محدّدة. جادل (دباشي) بأنّ " نظرية ما بعد الإستعمار يجب أن تأخذ في الاعتبار الطّرق المعقّدة والمتعدّدة الأوجه التي شكّل الإستعمار من خلالها مناطق وثقافات مختلفة حول العالم، كما أكّد على أهميّة فهم الدّيناميكيات المحليّة للسلطة والمقاومة التي ظهرت ردّاً على الإستعمار"². ثانياً ، تحدّى (دباشي) الافتراضات الغربيّة المركزيّة التي غالباً ما دعت نظرية ما بعد الإستعمار. لقد جادل بأنّ العديد من منظري ما بعد الإستعمار ركّزوا بشكل كبير على العلاقة بين الغرب وبقية العالم، على حساب فهم الدّيناميكيات الدّاخلية للمجتمعات

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص.200.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.185.

غير الغربية، وشدّد (دباشي) على أهميّة فهم الطّرق التي تعمل بها القوّة داخل الثقافات والمجتمعات المختلفة وفيما بينها، بدلاً من مجرد تحليل آثار الهيمنة الغربية.

ثالثاً، استكشف (دباشي) تقاطعات الثقافة والسياسة والمقاومة في عالم ما بعد الإستعمار لقد جادل بأنّ الإنتاج الثقافيّ يمكن أن يكون موقعاً للمقاومة والتّمكن للشّعوب المستعمرة وقام بتحليل الطّرق التي يمكن للأشكال الثقافيّة مثل الأدب والسينما والفنّ أن تتحدّى الروايات السّائدة وهياكل السّلطة، واستكشف (دباشي) أيضاً العلاقة بين القوميّة والمقاومة في مجتمعات ما بعد الإستعمار، بحجّة أنّ القوميّة يمكن أن تكون بمثابة شكل من أشكال المقاومة ضدّ الإستعمار، ولكنّ يمكن أيضاً أن يتمّ استقطابها من قبل النّخب الحاكمة للحفاظ على سلطتها. وكان عمل (دباشي) مؤثراً أيضاً خارج الأوساط الأكاديميّة، حيث كان معلّقاً نشطاً على السياسة والثقافة العالميّة، لاسيما فيما يتعلّق بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

ويُعتبر (حميد دباشي) على نطاق واسع أحد أكثر منظّري ما بعد الإستعمار تأثيراً في عصرنا، لقد تحدّثت وجهات نظره الفريدة حول نظرية ما بعد الإستعمار النماذج التقليديّة ومهدّت الطريق لأنماط جديدة لفهم العلاقات المعقّدة بين الثقافة والسّلطة والهويّة في أعقاب الإستعمار.

وأحد مساهمات (دباشي) الرّئيسيّة في نظريّة ما بعد الإستعمار هو رفضه للجوهريّة والجوهريّة هي " فكرة أنّ بعض الخصائص أو السّمات فطريّة للأفراد أو المجموعات وتحدّد سلوكهم أو أفعالهم"¹. استخدم بعض منظّري ما بعد الإستعمار المذهب الأساسيّ لشرح الاختلافات الثقافيّة بين المستعمرين والمستعمّرين ، لكنّ (دباشي) يرفض هذا النّهج. ويرى بدلاً من ذلك، ويجادل بأنّ " الثقافة عمليّة مرنة ومتطوّرة باستمرار تتشكّل بواسطة قوى تاريخيّة واجتماعيّة وسياسيّة"². يتحدّى رفض (دباشي) للأصوليّة فكرة أنّ الاختلافات الثقافيّة ثابتة وغير قابلة للتغيير ويفتح آفاقاً جديدة لفهم تعقيدات هويّة ما بعد الإستعمار.

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص. 215.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 230.

جانب رئيسي آخر من منظور (دباشي) الفريد حول نظرية ما بعد الإستعمار هو تأكيدهم على التهجين الهجينة هي فكرة أنّ " الهويات الثقافية ليست ثابتة، بل تتغير وتتطور باستمرار من خلال التفاعل والتبادل"¹. ويجادل (دباشي) بأنّ " التهجين جزء طبيعي وضروري من هوية ما بعد الإستعمار، لأنه يسمح للأفراد والمجتمعات بالتنقل في التضاريس المعقدة للتبادل الثقافي في أعقاب الإستعمار"². ومن خلال التأكيد على التهجين يتحدّى (Dabashi) فكرة أنّ هوية ما بعد الإستعمار هي فئة ثابتة وغير متغيرة، وبدلاً من ذلك يوضح كيف يتم إعادة تشكيلها وإعادة التفاوض بشأنها باستمرار من خلال عمليات التبادل الثقافي.

يمتد منظور (دباشي) الفريد حول نظرية ما بعد الإستعمار أيضاً إلى آرائه حول القومية على عكس بعض منظري ما بعد الإستعمار الذين يرون القومية مشكلة يجب التغلب عليها يرى (دباشي) أنّها " جزء ضروري من هوية ما بعد الإستعمار"³. ويجادل بأنّ القومية هي وسيلة للشعوب المستعمرة لتأكيد هويتها الثقافية في مواجهة الهيمنة الإستعمارية. ومع ذلك فهو يدرك أيضاً المخاطر المحتملة للقومية، لاسيما عندما يتم استخدامها لإستبعاد أو تهميش مجموعات أخرى.

إنّ منظور (دباشي) عن القومية دقيق ومعقد، ويقدم مساهمة قيمة في المناقشات داخل نظرية ما بعد الإستعمار. كما يؤكد أيضاً على أهمية الإنتاج الثقافي. حيث يرى بأنّ " الإنتاج الثقافي هو جانب حاسم في هوية ما بعد الإستعمار، لأنه يسمح للأفراد والمجتمعات بتأكيد قيمهم الثقافية الخاصة وتحدي الروايات الثقافية السائدة"⁴. كما أكد على أهمية الإنتاج الثقافي كشكل من أشكال المقاومة ضد السيطرة الإستعمارية حيث أنّه يوفر مساحة للشعوب المستعمرة لتأكيد قدراتها وإبداعها.

ففي العموم ومن إسهامات (دباشي) في نظرية ما بعد الإستعمار وبما أنّه من أبرز منظريها ومن مساهمته أيضاً نظريته إلى الإستشراق بعيون سعيدية حيث يقول " بالقول تبقى

¹ - المرجع السابق نفسه، ص. 196.

² - المرجع السابق نفسه، ص. 216.

³ - المرجع السابق نفسه، ص. 285.

⁴ - المرجع السابق نفسه، ص. 218.

ملاحظات (سعيد) المبدئية حول النزعة الإستمئية للإستشراق بعمومه، شديد الدقة بلا شك¹. (فدباشي) يتفق مع (سعيد) حول الإستشراق بصفته أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق من أجل إعادة بنائه و التسلط عليه، ومن ذات الجهة يرى (دباشي) أن الإستشراق بعد إستعادة الطرح الجوهرى لجدلية (سعيد) المبدئية في الإستشراق، وبعد تقييم مُنصفٍ يبقى المبحث الرئيس في أطروحته المتعلق بالربط البنيوي بين الإستشراق كمجال لإنتاج المعرفة و بين الكونيالية الأوروبية، راسخ الحضور و مشروعاً تماماً . ويمكن القول أن التوقيت الزمني والأحداث اللاحقة هي التي جعلت (دباشي) يُقدّم وجهة نظر مُختلفة حول مُجمل إنتاج (إدوارد) ومنظري ما بعد الإستعمار، هادفاً إلى الوصول إلى نمط من المعرفة المقاومة لمواجهة طبائع السلطة المهيمنة عالمياً . فإذا كان (سعيد) يحلّ ميتافيزيقا الإستشراق من غير تقديم البديل المقاوم تُجاه هذه السلطوية الإستشراقية بل إكتفاء (سعيد) بسرد البناءات التي يقف عليها الإستشراق و العلاقة بين الهيمنة و المعرفة و السلطة بالإستشراق بينما (دباشي) يخوض في أعماق بنية الإستشراق ناقداً مقاوماً عبر تتبّع ماهية الخطابات والآليات التي تستخدم لخدمة الأجندة الإستشراقية زائد تقديم مقدّمة نظرية لنمط من المقاومة .

كما توسّع (دباشي) في الإستشراق إلى حدّ يضع فيه (سعيد غولدتزيهر) ضمن خانة المستشرقين الآخرين أصحاب النظرة الدونية و هو ما يراه (دباشي) إجحافاً في حقّ (غولدتزيهر) الذي يسحبه (دباشي) بإعتبار أن (إغناس) صاحب مدرسة علمية متناسقة وهو المؤسس للدراسات الإستشراقية الخاصة بالإسلام .

4/- إستراتيجية دباشي في قراءة إدوارد سعيد من منظور سوسيولوجيا المعرفة

علم إجتماع المعرفة هو مجال دراسي يستكشف العلاقة بين المعرفة والبنية الاجتماعية والسلوك البشريّ يبحث هذا المجال في الطرق التي تُشكّل بها القوى الاجتماعية إنتاج المعرفة ونشرها، فضلاً عن الطرق التي تشكل بها معرفة المجتمع. علم إجتماع المعرفة هو مجال متعدّد التخصصات، يعتمد على علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة والتاريخ، من بين تخصصات أخرى. علم إجتماع المعرفة هو مجال فرعيّ من علم الاجتماع يستكشف

¹ - المرجع السابق نفسه، ص ص 107، 130.

السياقات الاجتماعية والثقافية التي يتم فيها إنتاج المعرفة ونشرها والتحقق من صحتها¹، كما يهتم علم اجتماع المعرفة بفهم كيفية تشكيل العوامل الاجتماعية مثل الطبقة والجنس والعرق والقوة لإنتاج المعرفة ونشرها. وتشمل المفاهيم الأساسية في علم اجتماع المعرفة البناء الاجتماعي ونظرية المعرفة وعلم اجتماع العلوم.

وظهر علم اجتماع المعرفة كمجال دراسي متميز في أوائل القرن العشرين

- **تاريخ علم اجتماع المعرفة:** في ألمانيا بشكل أساسي، كان علماء اجتماع المعرفة الأوائل، مثل (ماكس شيلر وكارل مانهايم)، مهتمين باستكشاف كيفية تأثير العوامل الاجتماعية، مثل الطبقة والجنس والدين، على إنتاج المعرفة ونشرها، لقد جادلوا بأن "المعرفة لم تكن موضوعية أو محايدة، ولكن بدلاً من ذلك تم تشكيلها من خلال السياق الاجتماعي الذي تم إنتاجها فيه"²، وفي حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية، استمر علم اجتماع المعرفة في التطور والتوسع. وركز عمل (ميشيل فوكو)، على سبيل المثال، على الطرق التي تم بها استخدام المعرفة كأداة للسلطة والسيطرة. جادل (فوكو) بأن "المعرفة لم تتشكل فقط من خلال القوى الاجتماعية بل كانت أيضاً وسيلة لممارسة السيطرة الاجتماعية"³.

وعلم اجتماع المعرفة مجال معقد به العديد من المفاهيم والأفكار المختلفة. ومع ذلك هناك العديد من المفاهيم الأساسية التي تعتبر مركزية في هذا المجال:

- **البناء الاجتماعي للمعرفة:** فكرة أن المعرفة ليست موضوعية أو محايدة، بل تتشكل من قبل القوى الاجتماعية. هذا يعني أن المعرفة يتم إنشاؤها ونشرها في سياق اجتماعي محدد وتتأثر بالعوامل الاجتماعية مثل العرق والطبقة والجنس والدين.

¹ - قباري محمد إسماعيل، نظرية المعرفة، دار المعرفة الجامعية، ط2، مصر، ص.106.

² - ميشيل مال، موسوعة العلوم الاجتماعية. ترجمة عادل مختار الهواري، سعيد عبد العزيز مصلوم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص. 360، 358.

³ - جوده محمد إبراهيم أبو خاص، المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو. دراسة في الفلسفة السياسية والاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 بيروت، 2017، ص.144.

- **الهيمنة الثقافية:** يشير مفهوم الهيمنة الثقافية إلى الطريقة التي تستخدم بها الجماعات المهيمنة في المجتمع المؤسسات الثقافية، مثل التعليم والإعلام، للحفاظ على سلطتها وسيطرتها. يمكن أن يشمل ذلك تعزيز بعض أنظمة المعرفة أو قمع أنظمة المعرفة البديلة.

- **المعرفة كقوة:** يشير مفهوم المعرفة كقوة إلى فكرة أن المعرفة ليست مجرد شيء سلبي أو محايد، ولكنها بدلاً من ذلك وسيلة لممارسة السيطرة الاجتماعية. هذا يعني أن أولئك الذين يتحكمون في المعرفة يمكنهم استخدامها للحفاظ على سلطتهم والسيطرة على الآخرين.

- **الأيديولوجيا:** يشير مفهوم الأيديولوجيا إلى الطريقة التي يتم بها استخدام المعرفة لتعزيز رؤية عالمية معينة أو مجموعة من القيم. يمكن أن يشمل ذلك الترويج للأيديولوجيات السياسية أو المعتقدات الدينية أو المعايير الثقافية.

وترتكز إستراتيجية (دباشي) في قراءة (إدوارد سعيد) على علم اجتماع المعرفة ويجادل (دباشي) بأن " عمل (سعيد) في الإستشراق يجب أن يفهم في سياق العمليات التاريخية والاجتماعية الأوسع التي تُشكّل إنتاج المعرفة ونشرها ¹، وينتقد (دباشي) مناهج الإستشراق التي تركز حصرياً على النص وتفشل في مراعاة السياق الاجتماعي والتاريخي الأوسع الذي تم فيه إنتاج النص. بالنسبة (لدباشي)، من الضروري فهم كيفية تشكيل علاقات القوة والتسلسل الهرمي الاجتماعي لإنتاج المعرفة والنظر في الطرق التي يمكن من خلالها استخدام المعرفة لإضفاء الشرعية على تلك التسلسلات الهرمية وتعزيزها.

وأحد المفاهيم الأساسية في علم اجتماع المعرفة هو فكرة أن المعرفة مبنية اجتماعياً، هذا يعني أن ما نعتبره معرفة ليس ثابتاً أو موضوعياً ولكنه ينشكّل بواسطة عوامل اجتماعية وثقافية مثل علاقات القوة والسياقات التاريخية والأعراف الاجتماعية.

ويركّز عمل (دباشي) على تقاطع الثقافة والسياسة وإنتاج المعرفة، مع التركيز بشكل خاص على الشرق الأوسط وشتاته. في كتابه (لاهوت السخط)، يستكشف (دباشي) الجذور التاريخية والثقافية للثورة الإيرانية وعواقبها، مُجادلاً بأن " الثورة كانت إستجابة معقدة لمجموعة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت متأصلة بعمق في الثقافة الإيرانية

¹ - حميد دباشي، الإستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص. 60.

والمجتمع"¹. كما يتحدّى (دباشي) الافتراضات الغربية حول الشرق الأوسط وشعبه، بحجة أنّ " التاريخ المعقّد للمنطقة والثّقافات المتنوّعة قد تمّ تبسيطه وإساءة فهمه من قبل العديد من العلماء وصنّاع القرار الغربيين"².

وتتضمّن إستراتيجية (دباشي) لقراءة (إدوارد سعيد) استخدام أدوات ومفاهيم علم إجتماع المعرفة لتحليل عمل (سعيد) وصلته بالقضايا المعاصرة. ويجادل (دباشي) بأنّ " عمل (سعيد) وثيق الصّلة بعلم إجتماع المعرفة لأنّه يكشف الطّرق التي تمّ من خلالها بناء المعرفة حول الشرق الأوسط والمناطق المستعمرة الأخرى والتّلاعب بها من قبل القوى الغربيّة"³. كما ترتكز إستراتيجية (دباشي) في قراءة (سعيد) على فهم عميق للسياق التاريخي والثّقافي الذي أنتج فيه عمل (سعيد). ويجادل بأنّ عمل (سعيد) ليس فقط نقداً لإنتاج المعرفة الغربيّة ولكنه أيضاً احتفال بالثّقافات والتّواريخ المتنوّعة في الشرق الأوسط والمناطق المستعمرة الأخرى. يؤكّد تحليل (دباشي) لعمل (سعيد) على أهميّة فهم تعقيدات الإنتاج الثّقافي وعلاقته بالسلطة، لاسيما في سياق الإستعمار والإمبرياليّة.

وتوفّر إستراتيجية (دباشي) لقراءة (إدوارد سعيد) من منظور علم إجتماع المعرفة منظوراً قيماً وثاقباً لعمل (سعيد) وصلته بالقضايا المعاصرة. من خلال الجمع بين خبرته في دراسات الشرق الأوسط ونظريّة ما بعد الإستعمار مع أدوات ومفاهيم علم إجتماع المعرفة، يُقدّم (Dabashi) تحليلاً دقيقاً ومتبصراً للطّرق التي يتمّ بها إنتاج المعرفة ونشرها في عالمنا المَعُولم. ويمثّل عمله مساهمة قيّمة في الحوار المُستمر حول دور الثّقافة والقوّة في تشكيل فهمنا للعالم من حولنا. وأحد مساهمات (دباشي) المركزيّة في مجال دراسات ما بعد الإستعمار هو نقده لمفهوم الإستشراق، ويستند نقد (دباشي) للإستشراق إلى فرضية أنّ المصطلح نفسه واسع للغاية وشامل للجميع، وأنّه لا يراعي تنوّع الثّقافات والتّاريخ والأنظمة السّياسيّة الموجودة داخل المنطقة.

¹ -Hamid Dabashi, *Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran*. op. cit, p.443.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.444.

³ - حميد دباشي، الإستشراق، المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص.61.

ويجادل بأنّ مفهوم الإستشراق يُستخدم في كثير من الأحيان لإضفاء الطابع الجوهريّ على الشرق الأوسط وصوره النمطية، ممّا يجعله كيانهً مترابطاً ومتجانساً. وبحسب (دباشي) فإنّ هذا النهج ليس مجرد مخادعاً فكرياً ولكنّه خطير سياسياً أيضاً، لأنّه يُعزّز فكرة (صراع الحضارات) بين الغرب والعالم الإسلاميّ.

ويرى (حميد دباشي) (الأكاديمي في جامعة كولومبيا) أنّ النّظر إلى الإستشرق بوصفه مشروعاً متجذراً في المشروع الكولونياليّ الأوروبيّ، لا يعني أنّ كلّ المستشرقين كانوا شركاء طوعيين للمستعمرين، أو أنّ مُجمل بحثهم العلميّ كان مثار خطّة أوروبية شيطانيّة ورغم أنّ (إدوارد سعيد) — بحسب (دباشي) — لم يُرَجِّح هذه الفرضيّة في أطروحته الأساسيّة (الإستشرق)، إلّا أنّ تصحيفاً غير دقيق لعمل (سعيد) جعلها تبدو كذلك في مرات عديدة.

من هذا المنطلق يقترح علينا (دباشي) في كتابه (ما بعد الإستشرق) " إعادة النّظر في مشروع (سعيد) من جديد من زاوية سوسيولوجيا المعرفة، التي عادة ما أُهملت في معظم التّناول النّقديّ للإستشرق"¹.

لأنّ هذا (برأيه) قد يلفّ من القراءات النّفسية للمتّقين العرب والمسلمين خاصّة في ظلّ ما بدا (عن غير قصد) من أنّ كتاب الإستشرق جاء في سياق التّحامل غير الموضوعيّ على المُستشرقين، الذي نجم في جزء منه على الأقل، عن وّضع (سعيد) في مرّات عديدة كوكبة من مُستشرقين مُختلفين تتباين توجّهاتهم السّياسيّة جذريّاً بعض الأحيان، في خانة واحدة. مؤدّيّاً بذلك، على سبيل المثال، إلى المساواة بين (غولدتزيهر) (الباحث الموهوب الذي كانت معارضته للكولونياليّة الأوروبيّة مسألة مبدأ أخلاقيّ وفكريّ) وبين (برنارد لويس) وسلفه الإستشراقيّ (أرمينيوس فامبري) (المُستشرق المتواضع الحال)، المقرّ بطبيعة عمله كجاسوس في خدمة الكولونياليّة البريطانيّة بالعموم والصّهيونيّة الأوروبيّة على وجه الخصوص.

وفي مسألة (غولدتزيهر) والإستشرق يرى (دباشي) أنّه على الرّغم من أن حقل الدّراسات الإسلاميّة خلال الفترة الزّمنيّة الممتدّة منذ بدأ (غولدتزيهر) كتابة أبحاثه في أواخر القرن

¹ - حميد دباشي، الإستشرق، المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب. ص. 126.

التاسع عشر إلى يومنا هذا، قد شهد تطوراً يتجاوز التفاصيل التي تعجّ بها أبحاث مشروعه العلمي، (فغولدتزيهر) يمتلك من سعة الإطلاع والمعرفة، ورؤية صقلتها معرفة ثرية أحاطت بحضارة بأكملها وخاضت في معتقداتها المقدسة وبنائها الراسخة وفي تاريخها السياسي وحركاتها الفكرية أيضاً.

ففي المقالات الستة التي تُشكّل الجزء الأول من كتابه " دراسات إسلامية " يقوم هذا المُستشرق بالتعريف بالنّورة الأخلاقية والمعياريّة التي قام بها محمد -صلى الله عليه وسلّم - وتعاليمه في الجزيرة العربيّة، ثمّ يمضي في التعريف بما سماه روح الإسلام المُنفّحة والديمقراطيّة المُرحبة بكلّ النّاس ومن مُختلف الأجناس والإثنيات وصولاً إلى نمط من الأخوة العالميّة تتمظهر في الأخواتيّة في حين قاومت النّخبويّة القبليّة القائمة على الحكم التّقليديّ والإمّتيازات العائليّة ذلك الأمل الإسلاميّ.

ومن جهة أخرى — وبحسب (دباشي) - أنّ " إستغراقه في عمله البحثيّ أو علاقاته مع المسؤولين الرّفيعيّ المستوى لم تقف حائلاً دون إهتمامه المبالغ بالمشاعر المعاديّة للكولونياليّة في مصر، فقد انضمّ إلى الإحتجاجات في شوارع القاهرة، كتب وتكلّم باسم الوطنيّة المصريّة في الحلقات التي تردّد إليها، ورفض الانضمام إلى التّجمّعات الأوروبيّة المقصورة على الأوروبيّين ما لم تُوجّه الدّعوات على السّواء لأساتذته وزملائه في الأزهر"¹.

وبعد أن قام (دباشي) بعرض أهمّ الملامح الأساسيّة لمشروع (غولدتزيهر)، يُعرّج على رؤية (إدوارد سعيد) وما يقوله في (غولدتزيهر) على وجه التّحديد. حيث يورد (سعيد) في كتاب (الإستشراق) على سبيل المثال يقول (سعيد): " المُستشرقون، من (رينان) إلى (غولدتزيهر) ماكدونالد، برنارد لويس)، نظروا إلى الإسلام مثلاً كتوليف ثقافيّ ... يمكن أن يدرس بمعزل عن الجوانب الإقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة التي تخصّ المسلمين"² ووفقاً (لدباشي)، أيّا تكن دقّة ما ورد في شأن المُستشرقين المذكورين آنفاً، وهو صحيح في حالة (برنارد لويس) على وجه الخصوص، فهو غير قابل للتّطبيق إطلاقاً على حالة (غولدتزيهر). لأنّ " ما ميّز (غولدتزيهر) كباحث إسلاميّ هو حرصه على قراءة الظروف

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص.82.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.121.

السياسية والاجتماعية التي واكبت التطورات التاريخية للإسلام، ليس فقط في ما كتبه في دراسات إسلامية بل عبر أعماله الأخرى، خاصة تفسيره للقرآن وبحثه العلمي في التشريع¹.

من جهة أخرى . يرى (دباشي) . أنه رغم الاتفاق الجزئي مع (سعيد) في رؤيته للمستشرقين (ومنهم غولدتزيهر)، من ناحية الاكتفاء الذاتي والالتزام الصارم بالإستشراق كنسق لإنتاج المعرفة، بحيث ندر أن يصرف المستشرقون إهتمامهم إلى فروع المعرفة المتماصة معه أو أن يتعلموا من منهجياتهم ومكتشفاتها. فإن هذه الرؤية لا تضع في حسابها قضية أساسية ومهمة، وهي أن ضبط البنيات الأساسية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية والاقتصادية كان في مراحله الوليدة حينما شرع (غولدتزيهر) بوضع أبحاثه، والقول إنه كان على (غولدتزيهر) التركيز أكثر على أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع لدى المسلمين كما كان يأمل (سعيد)، يجب أن يُقاس بما كان متاحاً له من منظور التاريخ الفكري، " فحين بدأ (غولدتزيهر) بالكتابة بدءاً من عمله الأول (حديث إسحاق) عام 1862م، وحتى مماته عام 1921م، كانت فروع علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية والاقتصادية في أطوارها التكوينية الوليدة المبكرة جداً " ².

ويرى (دباشي) أيضاً، أن الزعم بوجود عدم قيام الباحث ببناء منظور نقدي خاص بموضوع بحثه العلمي، خاطئ بلا ريب. كحال أي باحث آخر، كما أن الافتراض المتضمن في إشارة (سعيد) تحديداً، بأن معضلة الإستشراق تكمن في نظرة غير متعاطفة مع الإسلام لدى المستشرقين، هو مُعيب بالمثل. فبعض من أكثر المُستشرقين سوءاً، العاملين في خدمة الكولونيالية على وجه الخصوص؛ لم يقدموا نقداً نزيهاً للإسلام والمسلمين، بل شذرات رومانسية في أغلبها. أما (غولدتزيهر) فقد كانت لديه نظرة شديدة التعاطف مع الإسلام، كما أن إهتمامه بالإسلام والشرق لم يكن مُرتبطاً بمسار وظيفي، لا على العكس، فقد جَرَّ عليه الوبال في مساره الوظيفي. كان بإمكانه الحصول على وضع مهني أكثر دعة وراحة، فيما لو اقتدى بخطى (أرميوس فامبري)، الذي أحقره بلا شك، ليضع ذخيرته المعرفية المتميزة اللامحدودة بالإسلام في خدمة الإمبراطورية البريطانية.

¹ - المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

² - المرجع السابق نفسه، ص.123.

من جانب آخر، يرى (دباشي) أنّ (سعيد) يحيل الإستشراق بصورة خاطفة إلى كتاب (روبرت كيه ميرتون) (علم إجتماع العلوم)، كما يقوم بإحالات موجزة إلى كلّ من (فيبر ودوركايم ومانهايم). لكنّ يتّضح مع ذلك أنّ (سعيد) قد خصّ التّراث الطّويل والباهر لسوسيولوجيا المعرفة بأنّباه طفيف فقط، معتمداً تراثاً مُختلفاً تماماً - (فوكو) على نحو خاصّ — كمصدر رئيسيّ لتصوراته النظريّة (إذ لم يكن سعيد عالماً إجتماع وإنّما ناقدّاً أدبيّاً)، مع أنّ كلّ من (ماكس شيلر وكارل مانهايم)، قد فاقا في مقترحاتهما الجسورة التي تربط بين ماهية وأنماط المعرفة وبين القوى الاجتماعيّة، ما قدّمه (إدوارد سعيد) في إستشراقه من حيث الجذريّة بأشواط.

ويرى (دباشي) أيضاً أنّ كتاب الإستشراق وسبره لطريقة عمل الكولونياليّة والإمبراطوريّة قد قدّم تصوّراً ذا أهميّة عالميّة أبعد كثيراً من كلّ ما أنجزته سوسيولوجيا المعرفة على مستوى المحازبة السياسيّة، كما أنّنا من زاوية هذا التّراث، يُمكننا تفهّم رؤية (سعيد) حيال مشروع (غولدتزيهر)، كون الأخير رغم مناوئته للكولونياليّة، إلّا أنّه لم يتمكّن في لغة البحث النّقديّ التي إستخدمها، من الخروج عن نسق الخطاب الكولونياليّ المشروط فكانت تصوّراته حول التّاريخ الفكريّ للإسلام (محدّدة بمناطق مجهولة) ¹.

مع ذلك يعتقد أنّه إذا كان ثمة تحاملاً مؤذياً من جانب المُستشرقين إتّجاه الشّرق الذي قاموا بإختراعه إبستمولوجياً كما يجادل (سعيد) بشكّل مُقنع، فهو في الحقيقة كان الوسيلة في جعل فهمهم للشّرق ممكناً، وتبدى على هذا النّحو في أصل البناء البحثيّ الهائل والغني الذي أسّسه وهو في هذا الموقف الجريء والجديد (نقصد دباشي) يستند إلى رؤية (هانز جورج غادامير) الذي جادل في عمله (الحقيقة والمنهج) في أنّ " الفهم قد أصبح ممكناً ليس على الضّدّ من التّحيّزات بل بسببها" ². وبناءً على قراءة لفكرة (مارتن هايدغر) عن (البنية المتقدّمة للفهم) فقد أفرد (غادامير) في مبحثه السّابق جزءاً لـمشكلة التّحيّز، وجد فيه أنّه " رغم التّشويه الذي ألحقه التّنوير بالتّحيّز، فقد بقي هذا التّحيّز الشّرط الفعليّ للفهم" ³. وعلى هذا

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص ص، 135، 142.

² - المرجع السّابق نفسه، ص. 143.

³ - المرجع السّابق نفسه، الصفحة نفسها.

الأساس يخلص (دباشي) إلى أنّه " ينبغي ألا تقاس أهميّة أبحاث (غولدتزيهر) وغيره من المُستشرقين على مسطرة النّظام المعرفيّ الأقلّ تاريخياً والمشوّه نظريّاً والمُسمّى بالإستشراق بل تجب قراءتهم اليوم كأصحاب رؤية فكريّة وأحياناً إنسانيّة في غزارتها وغناها "¹.

وهناك موضوع مهمّ آخر في عمل (دباشي) هو نقده للحادثة وعلاقتها بالإستعمار والإمبرياليّة. في كتابه (ما بعد الإستشراق: المعرفة السّلطة في زمن الإرهاب)، يجادل (دباشي) بأنّ الحادثة ، كما تمّ تصوّرها وممارستها في الغرب ، هي بطبيعتها إمبرياليّة واستعماريّة. ويجادل بأنّ النّظرة الغربيّة الحديثة تتميّز بمعارضة ثنائيّة بين الغرب والباقي وأنّ هذه المعارضة تقوم على افتراض أساسيّ بالتّفوق الغربيّ.² ويقترح (دباشي) أنّ إرث الإستعمار والإمبرياليّة أدّى إلى وضع يمارس فيه العالم الغربيّ قدراً غير مُتناسب من القوّة والتأثير على بقيّة العالم. ويجادل بأنّ ديناميكيّة القوّة هذه تنعكس ليس فقط في الهياكل السّياسيّة والاقتصاديّة ولكنّ أيضاً في الخطابات الثقافيّة والفكريّة، والتي غالباً ما تفضّل وُجّهات النّظر الغربيّة وتهمّش طرق التّفكير والمعرفة البديلة.

إنّ نقد (دباشي) للحادثة والإستعمار ليس مجرد تمرين نظريّ. كما أنّه يركّز على تعامله مع القضايا السّياسيّة والاجتماعيّة المعاصرة. على سبيل المثال، يفحص (دباشي) في كتابه الأخير (إيران: شعب قاطع) تاريخ إيران وعلاقتها بالغرب، منذ فترة الإستعمار الأوروبيّ في القرن التّاسع عشر وحتىّ يومنا هذا. ويجادل بأنّ " تاريخ إيران قد تمّ تشكيله من خلال النّضال طويل الأمد ضدّ الإستعمار والإمبرياليّة، وأنّ هذا النّضال يستمر في تشكيل المشهد السّياسيّ والثقافيّ لإيران "³.

وبشكل عامّ ، يتميّز عمل (دباشي) بالتزامه بفهم الحقائق المعقّدة والمتعدّدة الأوجه للشرق الأوسط وشعبه ، ورفضه للمقاربات التّبسيطيّة والاختزاليّة لفهم المنطقة. كان لنقده للإستشراق والحادثة، وتأكّيده على أهميّة التّواريخ المحليّة والصّراعات السّياسيّة، تأثير كبير على مجال دراسات ما بعد الإستعمار وما بعده. ويُحاول (دباشي) أن يُبيّن هدفه الأساسيّ والأوّل في

¹ - المرجع السّابق نفسه، ص.150.

² - المرجع السّابق نفسه، ص.227.

³ -Hamid Dabashi, Iran: A People Interrupted. op. cit, p.109.

كتابه (ما بعد الإستشراق ..)، حيث يذكر " أمضي وراء نقد (إدارد سعيد) للإستشراق على نحوٍ يُجابه وسائط إنتاج المعرفة (مُتمثلاً ما وقع في أعقاب كارثة الحادي عشر من سبتمبر) ونشوء نمطٍ من الإمبريالية لا يقوم على الهيمنة المُستدامة. غايتي هنا أن أُؤلف بين النقد الما بعد كولونياليّ والنسق ما بعد إستشراقيّ في نسيجٍ متناغمٍ من جهة إنتاج المعرفة، مُتحرراً من رُبقة التحليلات الخطابية كمخطط حربٍ عصابات... أقترح مفهوم التناضح المعرفي كآخر أطوار إنتاج المعرفة المفيدة على منهج خاصٍ في (قولبة الذات)، لعدم إعتماده أساساً على تصوّر بعينه نموذجيٍّ أو معرفيٍّ. يصل بنا ذلك إلى تفتيت موضوع السيادة الأوروبية والذات العارفة من داخله في الوقت الذي تفشّى فيه رأس المال المُعولم على نحوٍ فعّال، لا يعرف مركزاً ولا مُحيطاً، مُعزّزاً بالمقابل الوهم بسيادة الذات العارفة"¹.

فهو يُريد أن يُركّز على عملية إنتاج المعرفة في الغرب حول الشرقيين والأفارقة من خلال قرنه بين النقد المُمارس حول الأوضاع ما بعد الكولونيالية وبين المعرفة التي أنتجتها المنظومة الغربية. فالإستشراق بالمفهوم الذي درسه (إدارد سعيد) لم يعد موجوداً اليوم وعليه لا بدّ من إدراك أنّ المنظومة الغربية التي أنتجت لم تعد هي كذلك موجودة.

¹ - حميد دباشي، الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ص.22.

الختمة

بعد تتبّعنا مسار ما بعد الإستشراق، فقد حاولت في هذا البحث أن أُلَمَّ ببعض إسهامات المفكر والمنظر والناقد " حميد دباشي "، وأن أعرّف القراء على واحد من أجود الكتب لهذا المفكر. وقد توصلنا إلى جملة من النتائج نُجملها فيما يلي:

- لقد عمل الإستشراق على تزكية المركزية الغربية، وإدامة سيطرتها وتفوقها على العالم الثالث وخاصة الشرق. ولقد زادت حدة هذا التّمرّك مع توسّع نطاق الإستعمار الأوروبي في أنحاء عديدة من العالم، وذلك مع حلول القرن التاسع عشر الذي ميّز القسّات الرئيسيّة لعصر الإستعمار حيث تقاسمت المبادرة فيه القوتين الإمبراطوريتين فرنسا وبريطانيا، ليتحوّل الدور في القرن العشرين والحالي إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة بسياستها الإمبرياليّة الجديدة.
- قدّم " إدوارد سعيد " من خلال كتابه " الإستشراق " تلك الصّورة الشّوهاء والمهزّومة للشرق، في حين ظهر الغرب في صورة مُستأسدة غالبية على هذا الشرق التّابع له ولقد قام كلّ من الرّحالة والعلماء والفنّانين بنسج هذه البروتوكولات وتأكيدّها من خلال ذلك المخزون الأدبيّ والثّقافيّ الذي ألّفوه.
- تمكّن " إدوارد سعيد " بواسطة كتابه " الإستشراق " أن يفتح مجالاً جديداً من البحث وإستطاع بذلك أن يؤثّر على جمهور كبير من القراء والباحثين والأكاديميين، فهو من خلال طرحه هذا - وكما تتفق الأغلبية - يُعدّ صاحب بصمة، وحامل رسالة إنسانيّة ومُتبنّي قضية على درجة كبيرة من الأهميّة.
- النّظر في آليات الخطاب الإستعماريّ التي قدّمها " إدوارد سعيد " في كتابه " الإستشراق "، و التي بيّن فيها " إدوارد سعيد " الطّرائق المُستخدمة في الخطاب الإستعماريّ، وتحليل آليات الخطابات الإستشراقية وأدواتها.
- كتاب " إدوارد سعيد " فتح الباب واسعاً لنقاد ما بعد الكولونياليّة في متابعة مساره وهو الأمر الذي إستفاد منه " حميد دباشي " في كتابه " ما بعد الاستشراق: المعرفة والسّلطة في زمن الإرهاب " في تقديم مقدّمة نظرية للمقاومة.. يؤكّد " حميد دباشي " أنّ الإستشراق ليس مجرد خطاب يخلق ويعزّز علاقات القوّة، ولكنّه طريقة لمعرفة وفهم العالم المتجذّر في الإستعمار والإمبرياليّة.

- يتم تقديم "ما بعد الإستشراق" كإطار يقدّم طريقة لإنهاء إستعمار المعرفة والقوّة. فهو نهج يسعى إلى تحدّي السرديات السائدة ونظريات المعرفة التي تمّ إنتاجها من خلال إنتاج المعرفة الإستشراقية. "فما بعد الإستشراق" هو إطار ديكلونياليّ ملتزم بإلغاء مركزيّة نظريّات المعرفة الغربيّة والإعتراف بالأشكال المتنوّعة لإنتاج المعرفة والتّعبير الثقافيّ.
- إنّ إنتاج المعرفة ليس عملية محايدة ولكنّه يتضمّن ديناميكيات القوّة التي تؤثر على بناء ونشر المعرفة. فالتمركز الغربيّ في إنتاج المعرفة يؤدّي إلى تهميش أشكال المعرفة غير الغربيّة.
- إنّ التمثيل هو جانب حاسم لعلاقات القوّة، لأنّه يساهم في بناء وإدامة ديناميكيات القوّة فطرق تمثيل الغرب تاريخياً للعالم غير الغربيّ، بحجّة أنّ الآخر مسلوب ومهمّش وأنّه تابعي.
- دور الثقافة في مرحلة ما بعد الإستشراق. ذلك أنّ الثقافة هي موقع حاسم للمقاومة ضدّ هياكل السّلطة المهيمنة.
- قدّمت إستراتيجية "حميد دباشي" التّأويليّة مساهمة كبيرة في مجال دراسات الشّرق الأوسط. من خلال تحدّي النهج الغربيّ التقليديّ لدراسة الشّرق الأوسط ، ففتح "حميد دباشي" آفاقاً جديدة لفهم وتفسير المنطقة. فنهجه متعدّدة التّخصّصات فتحدّي تقليد الإستشراق في خلق نهج أكثر دقّة ثقافياً لدراسة الشّرق الأوسط. ومع إستمرار العلماء في إستكشاف وتطوير نهج "حميد دباشي" ، من المحتمل أن تظهر رؤى وفهم جديد، ممّا يزيد من إثراء معرفتنا وتقديرنا لهذه المنطقة المهمّة من العالم.
- حاول "حميد دباشي" أن يُمسك في آن واحد بعدّة خيوط مختلفة ومتشابكة، وقضايا ومواقف، ضمن طرحه مسألة التّمثيل والسّيادة والإنتاج المعرفيّ، في سياق لا يزال تمثّل فيه القوى الغربيّة في طورها ما بعد الكولونياليّ / الإمبرياليّ، مركزاً للعالم والإنتاج المعرفيّ، في محاولة منه لتفكيك مقولات هذه السّيادة / التّمثيل، وإتاحة الفرصة للتّابع ليُسمع صوته، ويتكلّم، عبر خطاب مُتمرّد ومُغاير.
- كتاب "ما بعد الإستشراق" المُتماسك معرفياً ونظرياً ، يعدّ محاولة جادة للتّنظير الثّوريّ المعرفيّ في كينيّة أن نُفكّر خارج الأطر الموسومة لنا سلفاً.

- يُعتبر "ما بعد الاستشراق" "لحميد دباشي" مساهمة مهمة في نظرية ما بعد الاستعمار من خلال مشاركته في أعمال "سعيد"، "سبيفاك"، "بابا"، و"فانون"، حيث يقدم "دباشي" فهماً دقيقاً ومعقداً للاستشراق وتأثيره على كل من الشرق والغرب.
- ساهم "حميد دباشي" في تطور الدراسات ما بعد الكولونيالية، فقد انطلق من مقولات "إدوارد سعيد" الذي له قصب السبق ومجال الريادة في هذا المجال، ومن مقولات "غياتري"، إلا أنه رسم لنفسه طريقاً مختلفاً لأنه رغم أخذه من أفكارهم وانطلاقه منها إلا أنه ناقشها في مواضع عدة.
- وفي كتابه "ما بعد الاستشراق" صاغ منظوراً جديداً في النظرية ما بعد الكولونيالية يُراعي التحوّلات الجذرية التي عرفتتها مجتمعات ما بعد الاستعمار، ويتجاوز الصورة النمطية التي تُحاول الإمبريالية الترويج لها.
- وبناء على هذا الواقع المعرفي والأكاديمي اليوم داخل الولايات المتحدة الأمريكية يرى "حميد دباشي" أن ما نشهده اليوم في سياق الحرب على الإرهاب قائم في الأصل على وهم إمبراطوري أحادي القطب يُنتج معرفة متداولة معدة للاستخدام مرة واحدة بمعدل مغامرة عسكرية أمريكية واحدة تلو الأخرى.
- توفر دراسة عمل "إدوارد سعيد" من منظور علم اجتماع المعرفة إطاراً قيماً لفهم الطرق التي يتم من خلالها إنتاج المعرفة وتداولها واستخدامها في المجتمع. يقدم نهج "حميد دباشي" لقراءة أعمال "سعيد" إطاراً مفيداً لتطبيق رؤى علم اجتماع المعرفة على أفكار "سعيد". واستكشف العلاقة بين علم اجتماع المعرفة ودراسات ما بعد الاستعمار، ودراسة الصلة المعاصرة لعمل "سعيد" وعلم اجتماع المعرفة.

الملاحق

الملحق رقم 01: أهمّ أعلام ما بعد الكولونيالية

- إدوارد سعيد (Edward W. Said)

" إدوارد سعيد " (1935-2003) باحث وناقد أدبي ومفكر فلسطيني أمريكي، اشتهر بعمله الرائد في دراسات ما بعد الاستعمار ودفاعه عن حقوق الفلسطينيين. كان كاتباً غزير الإنتاج ألف العديد من الكتب والمقالات التي تناولت مجموعة واسعة من القضايا، بما في ذلك الأدب والسياسة والثقافة والهوية والسلطة. وكان عمل (سعيد) مستوحى بعمق من تجاربه كفلسطيني يعيش في المنفى، وكذلك من خلال تدريبه الأكاديمي في الأدب الإنجليزي والأدب المقارن. وتحدى (سعيد) التمثيل الغربي للشرق باعتباره " الآخر " الغريب والأدنى، بحجة أنه كان إسقاطاً لأوهام ورغبات غربية على الشرق. وجادل بأن خطاب الإستشراق كان شكلاً من أشكال القوة التي سمحت للغرب بالسيطرة على الشرق ، وأنه أستخدم لتبرير الاستعمار والإمبريالية والعنصرية. وتشمل أعماله الرئيسية " الإستشراق " (1978) ، " قضية فلسطين " (1979) ، " الثقافة والإمبريالية " (1993) وغيرها .

- غاياتري شاكرافورتى سبيفاك (Gayatri Chakravorty Spivak)

"غاياتري شاكرافورتى سبيفاك " ولدت في (24 فيفري 1942)، منظرّة بارزة في فترة ما بعد الاستعمار قدمت مساهمات كبيرة في مجالات التبعية والنسوية. تستكشف (سبيفاك) في عملها الطرق التي غالباً ما يتم بها استبعاد المجموعات المهمشة والمضطهدة من الخطابات السائدة حول السلطة والمعرفة، وهي باحثة وناقدة أدبية أمريكية من أصول بنغالية، وأكاديمية في جامعة كولومبيا الأمريكية، وشكلت مقالاتها " هل يستطيع التابع أن يتكلم؟ " محطة مهمة في خطاب ما بعد الاستعمار، وتشمل أعمالها الرئيسية " مقالات في السياسة الثقافية " (1987)، " دراسات مختارة في التابع " (1988)، " ناقد ما بعد الإستعماريّة " (1990).

- فرانز فانون (Frantz Fanon)

" فرانز فانون " (1925 - 1961) طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي وكاتب مارتنينيكي لعب دوراً حاسماً في تشكيل فكر ما بعد الاستعمار وخطاب إنهاء الاستعمار. نضال من أجل الحرية، وضد التمييز والعنصرية، وتلقى تعليمه في فرنسا، ثم عمل طبيباً عسكرياً في

الجزائر. وساعدته تجاربه في تشكيل وجهة نظره حول تأثير الإستعمار والقمع، وجعلته صوتاً رائداً في النضال من أجل إنهاء الإستعمار والتحرير، وتشمل أعماله الرئيسية " معذبو الأرض" (1961)، " بشرة سمراء، وأقنعة بيضاء " (1952)، " إستعمار يُحتضر " (1959).

- هومي بابا (Homi Bhabha)

"هومي بابا " ولد (1949)، عالم هندي إنجليزي، مُنظر نقدي رئيسي لما بعد الإستعمار وقد كان لعمله في التّجهين الثقافيّ و" الفضاء الثالث " دور فعال في تشكيل خطاب ما بعد الإستعمار. برز اسمه من خلال طرحه مفهوم " التّجهين " لتفسير نشوء أشكال ثقافيّة جديدة في العالم، وتشمل أعماله الرئيسيّة " أمم ومرويات " (1990)، "موقع الثقافة" (1994) " حول الخيار الثقافيّ " (2000).

الملحق رقم 02: السيرة الذاتية لـ حميد دباشي (Hamid Dabash)

"حميد دباشي" باحث ومفكر بارز يمتد عمله عبر مجالات الدراسات الثقافية والنقد الأدبي ودراسات الشرق الأوسط ونظرية ما بعد الاستعمار. ولد في (15 يونيو 1951) في مدينة (الأهواز) الإيرانية ونشأ في مدينة (شيراز) جنوب إيران، تلقى (دباشي) تعليمه الابتدائي والثانوي في إيران قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة عام (1976) لمتابعة تعليمه العالي.

حصل (دباشي) على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من (جامعة بنسلفانيا) عام (1984)، وقد بدأ حياته الأكاديمية في (جامعة بنسلفانيا) كأستاذ مساعد في علم الاجتماع والأدب المقارن، وفي عام (1989)، انضم إلى هيئة التدريس بقسم اللغات والثقافات الشرق أوسطية والآسيوية في (جامعة كولومبيا)، حيث يشغل حالياً منصب أستاذ (هاكوب كيפורكيان) للدراسات الإيرانية والأدب المقارن.

طوال حياته الأكاديمية، كتب (دباشي) على نطاق واسع في مجموعة واسعة من الموضوعات، بما في ذلك السينما الإيرانية والأدب الإيراني والتاريخ السياسي والثقافي للشرق الأوسط. نشر أكثر من (25 كتاباً) والعديد من المقالات في المجلات والصحف الأكاديمية الرائدة حول العالم.

من أوائل أعمال (دباشي): "لاهوت السخط: الأساس الأيديولوجي للثورة الإسلامية في إيران" (1993)،

"Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran" (1992),

الكتاب عبارة عن تحليل للعوامل الثقافية والفكرية التي أدت إلى الثورة الإيرانية عام (1979). ويقول فيه (دباشي) بأن الثورة كانت نتاج اندماج فريد بين الأيديولوجيات الإسلامية والماركسية والقومية، وأنها مثّلت رفضاً لكلّ من الإمبريالية الغربية والحكم الاستبدادي للملكية الإيرانية.

عمل آخر مهم (لدباشي) هو: "كلوس أب: السينما الإيرانية ، الماضي والحاضر والمستقبل " (2001)،

" *Close Up: Iranian Cinema, Past, Present, and Future*", (2001)

الذي يفحص تاريخ السينما الإيرانية وتطورها منذ بدايتها في الثلاثينيات حتى يومنا هذا يُنظر إلى الكتاب على نطاق واسع على أنه عمل أساسي في مجال دراسات السينما الإيرانية وقد تُرجم إلى عدة لغات.

في كتاب : " إيران: شعب (قاطع) توقف " (2007)،

" *(2007), Iran: A People Interrupted* "

يقدم (دباشي) تحليلاً نقدياً للتاريخ السياسي والثقافي لإيران من القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا. يستكشف الكتاب تأثير الاستعمار والإمبريالية والاستبداد على المجتمع الإيراني ويجادل بأن المشاكل السياسية والاجتماعية للبلاد هي نتيجة لتاريخ طويل من التدخل الخارجي والقمع الداخلي.

عمل آخر بارز (لدباشي) هو " الربيع العربي: نهاية حقبة ما بعد الاستعمار " (2012)

" *The Arab Spring: The End of Postcolonialism* ", (2012)

الذي يبحث في الأبعاد السياسية والثقافية للانتفاضات العربية في عام (2011)، وفي الكتاب، يقول (دباشي) أن الانتفاضات مثلت رفضاً للحكم الاستبدادي، والإمبريالية الغربية وأنهما إيداناً بنهاية حقبة ما بعد الاستعمار في الشرق الأوسط.

في كتابه " هل يمكن لغير الأوروبي التفكير؟ " (2015)،

" *(2015), Can Non-Europeans Think?* "

يستكشف (دباشي) تاريخ الإمبريالية الأوروبية وتأثيرها على إنتاج المعرفة في العلوم الاجتماعية والإنسانية. ويجادل الكتاب بأن المفكرين غير الأوروبيين تم استبعادهم بشكل منهجي من التقليد الفكري الغربي، وأن اتباع نهج أكثر شمولاً لإنتاج المعرفة ضروري لثقافة فكرية عالمية حقيقية.

أحدث كتاب لدباشي ، " ما بعد الاستشراق: المعرفة والقوة في زمن الإرهاب " (2009) *"Post-Orientalism: Knowledge and Power in a Time of Terror"*, (2009) هو فحص نقدي لإرث عمل (إدوارد سعيد) الأساسي "الاستشراق" وتأثيره على الدراسات المعاصرة في الشرق الأوسط والإسلام . يُناقش الكتاب مقارنة ما بعد الإستشراق لإنتاج المعرفة التي تستند إلى إطار ديكلونيالي وتأخذ في الاعتبار الفاعلية السياسية والثقافية للشعوب غير الغربية.

بالإضافة إلى عمله الأكاديمي، يُعتبر (دباشي) أيضاً مفكراً عاماً يكتب ويتحدث بانتظام في القضايا السياسية والثقافية. لقد كان مساهماً متكرراً في وسائل الإعلام المختلفة، بما في ذلك (قناة الجزيرة - ونيويورك تايمز - وسي إن إن - والجارديان)، وألقى محاضرات ومحادثات في العديد من الجامعات والمؤسسات حول العالم.

شارك (دباشي) أيضاً في عدد من النقاشات العامة والخلافات، لاسيما حول القضايا المتعلقة بالشرق الأوسط والإسلام. لقد كان من أشدّ منتقدي السياسة الخارجية للولايات المتحدة في المنطقة وجادل ضدّ ما يسمى بأطروحة " صراع الحضارات ". كما كان ناقداً للصهيونية ودولة إسرائيل، واتّهمه بعض النقاد بمعاداة السامية.

على الرغم من هذا الجدل، لا يزال (دباشي) عالماً ومفكراً محترماً ومؤثراً. حصل على العديد من الجوائز والأوسمة عن عمله، بما في ذلك جائزة (رئيس جامعة كولومبيا) للتميز في التدريس وجائزة (الإنجاز مدى الحياة) من جمعية الدراسات الإيرانية. ويواصل الكتابة والتحدث حول مجموعة واسعة من القضايا المتعلقة بالثقافة والسياسة والمجتمع ، وقد ألهم عمله جيلاً جديداً من العلماء والمفكرين المهتمين بمنظورات ديكلونيالية وما بعد الإستشراق.

الملخص

المُلخَص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جهود "حميد دباشي" النقدية وهذا من خلال الوقوف على واحد من أهم كتبه النقدية وهو كتاب "ما بعد الإستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب"، وتستند دراستنا إلى آراء الباحث والمفكر "دباشي" الذي قمنا بعرض أهم أفكاره ومقولاته ومناقشتها، وأهم المفاهيم التي يُركّز فيها على مسائل "القوة، والتّمثيل، والهيمنة والإستشراق والتّابع" كما قدّم نقده للمنظومة المعرفية الغربية ويُفسّر ويقرأ طرقها في إنتاج المعرفة، وهو تحليل نقدي للطرق التي يتقاطع فيها إنتاج المعرفة وعلاقات القوة في العالم المعاصر، ويُعتبر مفهوم الإستشراق، كما عبّر عنه (إدوارد سعيد)، مركزياً في تحليل (دباشي). ففي هذا الكتاب، يأخذ (دباشي) مفهوم الإستشراق ويتوسّع فيه، ويُطوّر إطار ما بعد الإستشراق برؤية جديدة ومعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الإستشراق، ما بعد الإستشراق، حميد دباشي، المعرفة والسلطة.

Abstract

This study aims to highlight the critical efforts of "Hamid Dabbashi" through an examination of one of his most important critical books, titled "Post-Orientalism: Knowledge and Power in the Time of Terrorism." Our study is based on the opinions of the researcher and thinker "Dabbashi," where we present his key ideas and statements for discussion. The study focuses on important concepts such as "power, representation, domination, Orientalism, and the subaltern," as well as Dabbashi's critique of the Western cognitive system and his interpretation of its methods in producing knowledge. It is a critical analysis of the intersection between knowledge production and power relations in the contemporary world. The concept of Orientalism, as expressed by Edward Said, holds a central place in Dabbashi's analysis. In this book, Dabbashi expands and develops the concept of Orientalism, offering a new and contemporary post-Orientalist framework.

Keywords: Orientalism, post-Orientalism, Hamid Dabbashi, knowledge and power

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة : محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006.
2. إدوارد سعيد، الإستشراق؛ المعرفة السلطة الإنشاء. ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، 1981.
3. إدوارد سعيد، تغطية الإسلام. ترجمة محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2005.
4. إدوارد سعيد، المثقف والسلطة. ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006.
5. إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية. ترجمة كمال أبو أديب، دار الآداب، ط3، بيروت، 2004.
6. حميد دباشي، ما بعد الإستشراق؛ المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب. ترجمة باسل عبد الله وطفة، منشورات المتوسط، ميلانو، إيطاليا، ط1، 2015.
7. حميد دباشي، هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟. ترجمة عماد الأحمد، منشورات المتوسط، ط1، ميلانو، إيطاليا، 2016.

ثانياً: المراجع

أ- المراجع العربية

1. أحمد عبد الحليم السايح، الإستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996.
2. أمجد حميد التميمي، مقدّمة في النّقد الثقافيّ التّفاعليّ. كتاب ناشرون، ط1، لبنان، بيروت، 2010، ص.30.
3. إدريس الخضراوي، الأدب موضوعاً للدراسات الثقافية. جذور النّشر، الرّباط، 2007.
4. الرّبيعيّ فاضل، ما بعد الإستشراق الغزو الأمريكيّ للعراق وعودة الكولونياليّات البيضاء. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

5. جوده محمد إبراهيم أبو خاص، المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو. دراسة في الفلسفة السياسية والاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 بيروت، 2017.
6. جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة. مكتبة المثقف، دط، المغرب، 2001.
7. سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب. دار الجوهري، بغداد، العراق، 2012.
8. سعيد خالد، إدوارد سعيد، ناقد الإستشراق، قراءة في فكره وتراثه. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان، بيروت، 2011.
9. صالح محمد حسن الأشرف، الإستشراق مفهومه وآثاره، دار الألوكة، 2016.
10. عبد الله الغدامي، النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، 2005.
11. عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2008.
12. عبد المسيح، ماري تريز، قراءة الآداب عبر الثقافات، أزمنة للنشر والتوزيع، ط2، الأردن، 2005.
13. فاروق عمر فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، دار الأهلية، ط1، 1998.
14. فتحي التريكي، عبد الوهاب المسيري، الحداثة وما بعد الحداثة. دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2003.
15. قباري محمد إسماعيل، نظرية المعرفة، دار المعرفة الجامعية، ط2، مصر.
16. مبارك حنون، دروس في السيميائيات؛ سلسلة توصيل المعرفة. دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1987.
17. محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط5، بيروت، لبنان، 2005.

18. وحيد بن بوعزيز، حدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو. منشورات الاختلاف، ط1، 2008.

19. يوسف عليمات، النسق الثقافي؛ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم. عالم الكتب الحديث للنشر، ط1، عمان، الأردن، 2009.

ب- المراجع المترجمة

1. آرثر أيزنبرجر، النقد الثقافي؛ تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية. ترجمة وفاء إبراهيم، ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2003.

2. أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2000.

3. بوب، ب آرسترونغ، القراءات المتصارعة، التنوع والمصادقية. ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، 2009.

4. بيل أشكروفت، بول أهلوليا، إدوارد سعيد؛ مفارقة الهوية. ترجمة: سهيل نجم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002.

5. جان فرانسوا ليوتارد، لماذا نتفلسف؟، ترجمة يوسف السهيلي، دار التتوير للطباعة والنشر، ط1، تونس، 2017.

6. روبنسون دوغلاس، الترجمة والإمبراطورية؛ نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية. ترجمة ثائر علي ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2009.

7. رولان بارت، لذة النص. ترجمة فؤاد صفا، والحسين سبحان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

8. سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية مقدمة نقدية. ترجمة ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005.

9. ميشيل مال، موسوعة العلوم الاجتماعية. ترجمة عادل مختار الهواري، سعيد عبد العزيز مصلوم، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

10. هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية. ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر، ط1، ليبيا، 2007.

ت - المراجع الأجنبية

1. Barthes Roland, l'aventure sémiologique, Ed, seuil, Paris, 1985.
2. Grosfoguel, R, The structure of knowledge in Westernized universities: Epistemicracism/sexism and the four genocides/epistemicides of the long 16thcentury. Human Architecture: Journal of the Sociology of Self-Knowledge, 2013.
3. Hamid Dabashi, Post- Orientalism, Knowledge and Power in time of terror. Transaction Publishers, New Brunswick, New Jersey, 2009.
4. Hamid Dabashi The Arab Spring: The End of Postcolonialism. Zed Books Ltd Londo, 2012.
5. Hamid Dabashi, *Theology of Discontent: The Ideological Foundation of the Islamic Revolution in Iran*. First Edition, French, 2005.
6. Hamid Dabashi, *Close Up: Iranian Cinema, Past, Present, and Future*. Verso 2001.
7. Mignolo, W. D., & Quijano, A. Coloniality and modernity/rationalit. Cultural Studies, 2010.
8. Spivak, Gayatri Chakravorty, Can the Subaltern Speak?. in "Marxism and the Interpretation of Culture, University of Illinois Press, 1988.
9. Smith, L. T. Decolonizing methodologies: Research and indigenous peoples. Zed Books, 2012.
10. Walter D. Mignolo , Delinking ; The rhetoric of modernity, the logic of coloniality and the grammar of de- coloniality, Cultural Studies, vol.20, no.2, 2007.

ثالثاً: المعاجم

1. قاموس أكسفورد الإنجليزي. لندن، 1971. Oxford English Dictionary , Landan, 1971.

رابعاً: المجلات

1. عبد الفتاح نعوم، مساهمة الإستشراق الأنغلو - أمريكي في صعود دراسة المناطق. مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عدد9، مجلد3، 2014.

2. مفيد الزبدي، الإستشراق والمستشرقون؛ نحو رؤية منهجية. مجلة شؤون عربية؛ عدد 147، 2011.

3. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة. ترجمة علي سيد الصاوي، الفاروق زكي يونس، عالم المعرفة ، الكويت، العدد 223، 1978.

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. توغرل منده، إرث الإستعمار الأوروبي لا يزال حاضراً في الشرق. ترجمة: يسرى مدعي، 2019. [https // ar.Qantara.de](https://ar.Qantara.de) تاريخ الأخذ 2023/2/15.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
-	شكر وتقدير
-	إهداء
أ-ج	المقدمة
17-1	المدخل
47-18	الفصل الأول: الإستشراق ماضياً وحاضراً (قبل وبعد إدوارد سعيد)
19	1/- تعريف الإستشراق
19	أ/- من الناحية اللغوية
20	ب/- من الناحية الإصطلاحية
20	2/- مفهوم الإستشراق من منظور إدوارد سعيد
24	أ/- صناعة أسطورة الشرق : وآلية الإستضعاف
24	ب/- الإستشراق : الصورة التمثيلية و التحدّث بالنيابة
25	ج/- المعرفة والسلطة الإستشراقية
26	د/- آلية لغة الإستشراق : محورية اللغة والإستعمار
26	3/- شرح مفهوم ما بعد الإستشراق
29	أ/- ما بعد الإستشراق كإطار ديكلونيالي
34	ب/- سياسة إنتاج المعرفة
36	ج/- سياسة التمثيل
41	د/- دور الثقافة في مرحلة ما بعد الإستشراق
44	4/- مفهوم ما بعد الإستشراق من منظور حميد دباشي

الفصل الثاني: إستراتيجية التأويل في كتاب "ما بعد الإستشراق"

49

1- المُنجز النَّقديّ لحמיד دباشي: (أهمّ أعماله)

50

- مرجعيّات (حميد دباشي) الفكرية والمنهجية

50

أ- المرجعيّات الفكرية

50

- دراسات ما بعد الإستعمار

53

- الدّراسات الإسلامية

55

- دراسات الشرق الأوسط

56

- دراسات الأفلام

57

ب- المرجعيّات المنهجية

58

- الأدب المقارن

59

- النّقد الثقافيّ

61

2- معلومات أساسية عن كتاب " ما بعد الإستشراق " لحמיד دباشي

61

أ- كتاب " ما بعد الإستشراق "

63

ب- القضايا المطروحة في الكتاب

63

ب.1- ما بعد الإستشراق و التّمثيل الذاتيّ

65

ب.2- إستعادة صوت المَهْمَش

65

ب.3- تأملات في مسيرة التّحدّي

66

ب.4- نحو نظرة جديدة في المقاومة

66

ب.5- عصر جديد و نهاية منظور قديم

67

ج- لمحة عامّة عن التّخصّصات المختلفة المُستخدمة في الكتاب

68

- التاريخ

68

- الأنثروبولوجيا

68

- الدّراسات الأدبية

69	- علم الاجتماع
69	- اللّغويّات
69	- العلوم السّياسيّة
70	3/- التّأويل في فكر دباشي (ما بعد الإستشراق)
70	أ/- دباشي وأعلام نظرية ما بعد الكولونياليّة في ما بعد الإستشراق
80	ب/- إسهامات دباشي في نظريّة ما بعد الكولونياليّة في ما بعد الإستشراق
83	4/- إستراتيجيّة دباشي في قراءة إدوارد سعيد من منظور سوسيولوجيا المعرفة
96-93	الخاتمة
102-97	الملاحق
104-103	الملخّص
110-105	قائمة المصادر والمراجع
III - I	فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ